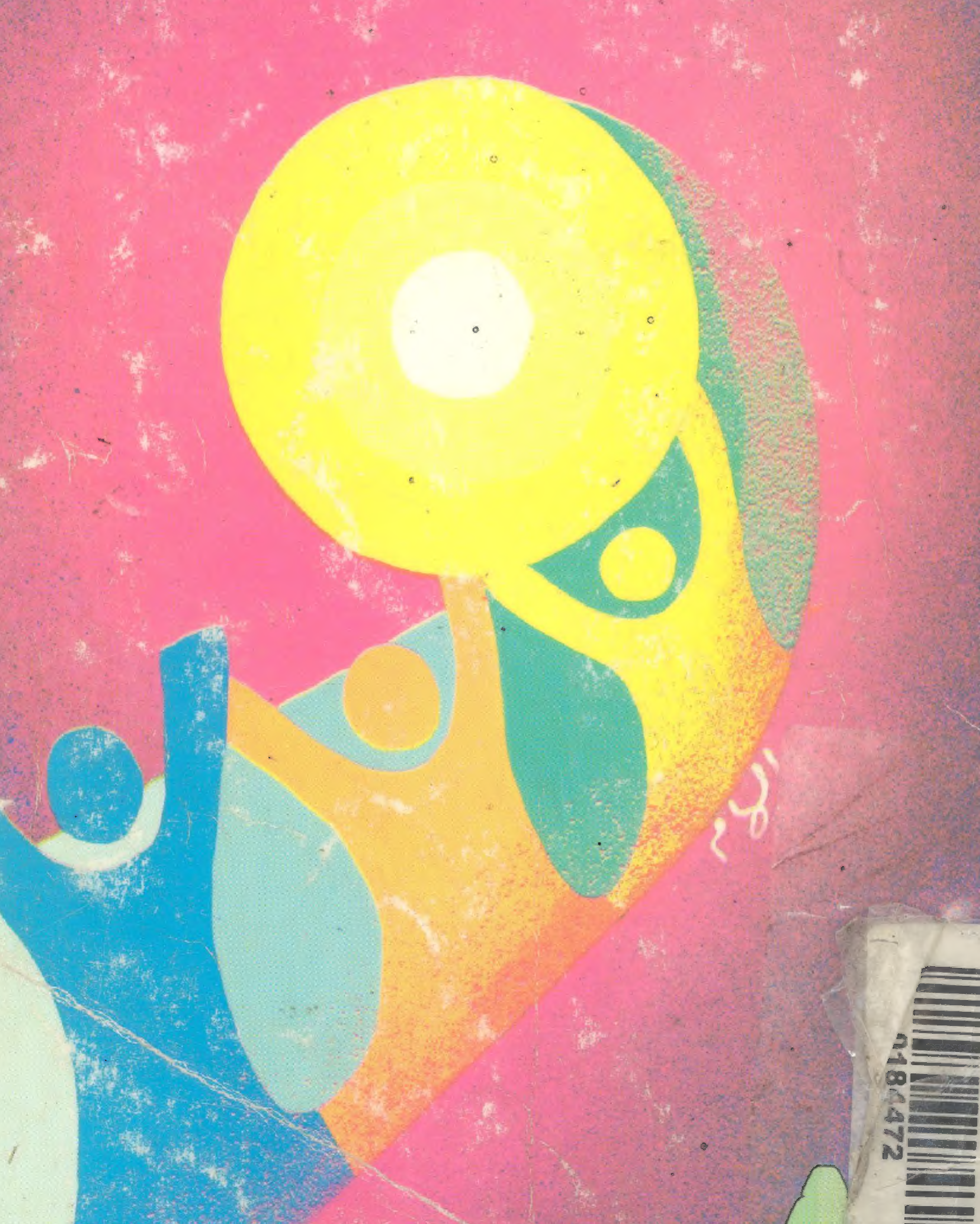
التأصيل التربوى للأبناء

تأليف : السيد احمد المخزنجى



التأصيل التربوى للأبناء
فى
ضوء علم النفس المعاصر

السيد أحمد المخزنجى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

إهداء

إلى زوجتى ..

وإلى أولادى:

إسلام

وسام

عبدالرحمن

ابعض من ثمار غرسكم الجميل!!!

«السيد»

تقديم

تميزت فترة الخمسينيات من القرن العشرين بتنامى البحوث الميدانية والدراسات التجريبية فى مجال علم النفس فى مدخل جديد هو مدخل تكامل المعرفة: الاجتماع، والأنثروبولوچيا وعلم النفس، وباتجاه يؤكد على أن الطفل هو مركز القرار فى تنظيم عملية نموه، وشغلت العلاقة بين الوالدين والأبناء، وأثر الرعاية الوالدية فى تحديد طريق المستقبل الكثيرين من المشتغلين بالعلوم الإنسانية.

ولقد تعددت النظريات فى مجال علم نفس النمو، إلاّ أن إمكانية التكامل بينها أكبر من إمكانية الخلاف. فعلماء السيكولوجيا يتفقون على أن مرحلة الطفولة مرحلة خطيرة، وأن الوسائل المستخدمة فى تنشئة الطفل من أهم العوامل التى تؤثر فى تكوين شخصيته.

وتقول مرجريت ربل Margaret Ribble "مما لا ريب فيه إن من العوامل التى تساعد الإنسان على بلوغ مقامه الأسمى فى الحياة: العناية والمحبة المطردتين فى زمن الطفولة".

وحياة الناشئ البشرى تقع فى مراتب معينة، فثمة عدد من الدوافع تدفع الطفل فى بداية عمره إلى إشباع حاجاته البيولوچية، وتبدأ بعد ذلك الذات تبرز، يعاونها فى ذلك نمو الحواس، وظهور قدرة الناشئ على التمييز بين الإحساسات

الداخلية والخارجية، ويبدأ الطفل بعد ذلك فى اكتساب اللغة ويحاول السيطرة على حركة عضلاته.

وأهم ما يلاحظ فى هذه المرتبة تأثر «الذات» بالعلاقة بينها وبين الكبار.

ويكون تأثير الثقافة فى قمته فى مرحلة الطفولة، حيث يبدأ الفرد فى قبول الخبرات الثقافية أو رفضها، ويبدأ التأثير الثقافى للأسرة على الطفل مبكرًا فى صورة توجيهات لتعديل سلوكه، وحين يقبل الطفل أساليب السلوك التى يضعها الوالدان فإن ذلك يعنى أنه قد «امتص ثقافة مجتمعه»، بمعنى أنه يحاول أن يتكيف مع مجتمعه بامتصاص طرق التعبير والتفكير والسلوك السائدة فى ثقافة مجتمعه.

وبديهى أن المجتمع كلما غدا أشد تعقدًا، عظمت مطالبه من الفرد وزادت حاجة الوليد مع البيئة الجديدة، ويشتد طلب الناشئ للاستقلال من سلطة الراشدين، ومن هنا تزيد حساسية العلاقة العاطفية بين الأبناء ووالديهم.

ونحن حين نطرح قضية العلاقة بين الأبناء ووالديهم فإننا نؤكد على أن تبنّى الأبناء لمعايير الوالدين وقيمهم يعتمد بدرجة كبيرة على الحب الذى يحيط به الوالدان أطفالهم، بمعنى أن السلطة الأبوية تعنى الجهد الواعى الذى يبذله الوالدان لفهم أطفالهم وتقديرهم فى حياتهم الواقعية فى صورة قدرتهم على التعامل مع وجهات النظر العديدة المختلفة، وعدم التسلط إزاء الأفكار التى يبديها الأطفال.

وفى يقيننا أن الرعاية من جانب الآباء والحب من جانب الأبناء أساس التوحد بين الآباء والأبناء، وكلما كانت الرعاية الوالدية إيجابية، قوى التوحد، وإذا لم يجد المراهق العطف من جانب والديه، فإنه يلجأ إلى «جماعته» ويبنى جسور العبور إلى أقرانه.

ويتخذ الآباء أسلوبًا معينًا فى إشباع حاجات أبنائهم إما ثقةً أو انعدامًا لهذه الثقة!!

ويقتضى هذا ـ ضمنا ـ دراسة خصائص النمو النفسى، والمتطلبات المرتبطة بهذا النمو، ففى ضوء كفاءة الآباء فى مواجهة هذه المتطلبات تتحدد سلامة العلاقة بين الأبناء ووالديهم، ونحن نؤكد على أهمية هذه الكفاءة، وعلى حساسية الطفل لما يقع عليه من ضغط حينما نشير إلى العلاقة بينهم.

والتربية التى تسير وفقا لقوانين الطبيعة الإنسانية تحترم ميول الطفل وغرائزه الفطرية ونزعاته الأولية، وتحرر قواه بدلا من اخضاعها للتقاليد الاجتماعية وتحدد معالم السلوك الاجتماعى للطفل، وتشكل شخصيته التى تعتمد على الاستعداد الوراثى والمعايير والقيم التى تسود الثقافة التى ينتمى إليها والنماذج السلوكية التى تعرض عليه، وما يتعرض له من أساليب الثواب والعقاب.

ومن ثم فإن تعديل سلوكه لابد من أن يوضع أمام الوالدين حتى يمكن أن يستجيب لقدراته وحاجاته حتى نوائم بينها وبين أساليب حياة الوالدين من أجل إقامة جسور من الثقة المتبادلة بين الآباء والأبناء.

فالمحور الأساسى فى علاقة الثقة إذن هى حاجات الطفل، ومن ثم فإنه يتعين دراسة هذه الحاجات فى ضوء الحقيقة التى نعترف بها، وهى أن ثقافتنا مازالت تؤكد التسلط دون الاستقلالية باعتبار كونها قيمة تربوية!!

ويعتمد ضمير الطفل على معايير الآباء.. ومن السذاجة أن نتصور أن الطفل يتعلم أن يكون صادقاً على المستوى اللفظى، فهو يحتاج إلى تدريب على المواقف من خلال النموذج والقدوة!!

والمعايير الخلقية للآباء دائما جامدة متشددة، قاسية، ولكن السلوك الخُلقى للآباء لابد أن يمثل الإقناع الشاخص بالاقتداء.

وفى منهج التربية الإسلامية مثلاً، فإن القدوة ـ وهى عملية فى التنشئة الاجتماعية ـ تتمثل فى الوالدين وفى المربين. وحكمة الإسلام بالغة فى

التـأكـيـد على دور الوالدين وعلى مكانة الأم وعلى انصـيـاع الأبناء للوالدين، فالسلوك اللفظى لابد أن يطابقه السلوك العملى.

والقدوة لا تنحصر فى حدود التعاليم النظرية المجردة، فالتربية الحقة تقوم على التـقـاء المناهج بالواقع، ذلك أن مـخالفـة السلوك المقـدم للسلوك المعلن تشكل فجوة كبيرة بين النظرية والتطبيق وانفصالا بين المثال والواقع، وتحدث أثراً مدمراً فى نفسية الناشئين.. فغرس الصفـات فى نفـوس الناشئين إذن لا يكون بالوعظ والتلقين، وإنما عن طريق التجربة والخبرة.

والكتاب الذى بين أيدينا يحاول أن يصور موقفاً نموذجياً للرعاية الوالدية ـ النغمة الصحيحة فى إيقاع الضبط الزائد أو الرعاية الزائدة ـ فبدأ بدراسة النموالحركى والمعرفى، واللغوى والانفعالى، والاجتـمـاعى، ثم تعرض للعوامل التى تؤثر فى تكوين الشخصية، وركز على البيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية وارتباطها بمستوى النمو المعرفى، وكذا المجالات السلوكية التى للتنشئة تأثير عليها.

وقد ركز المؤلف على عملية التنشئة الاجتماعية التى تستهدف أن يتشرب الطفل التقاليد ونظرة المجتمع للحياة حتى يصير عضوا فيها فيكتسب معتقده، ولغته وآدابه، ونمط تفكيره وحسه الجمالى. ويكتسب الطفل من خلال سلوك والديه القـواعـد التى تكمن وراء هذا السلوك ويبنى سلوكـه الذاتى على هذه القـواعد، وما يلقاه الطفل من مديح أو عقـاب بعد ذلك يدفعه إلى تغيير هذه القواعد أو تهذيبها.

والأسرة هى أهم وسائط التنشئة الاجتماعية، حيث يتلقى الطفل فى بداية عمره على أيدى الكبار أساليب التعامل الأولى، ومبادئ العلاقات فى الحياة بحيث يمكنه التكيف، ومن ثم تبدأ سلبيات شخصيته وإيجابياتها فى التكون.

وقد أفرد المؤلف جانبا للحديث عن وسائل الإعلام الجماهيرية ـ وعلى الأخص جهاز التليفزيون ـ باعتبارها ضمن وسائط التنشئة. ويمـكـن أن

تتسرب من وسائل الإعلام الجماهيرية عناصر ثقافية مضرة فاسدة لا تتلاءم مع قيم المجتمع الإنسانية، ويتمثل فيها غالباً الغزو الثقافى.

وفى ظننا أن هذه الوسائل يمكن أن تكون أداة فعالة فى التعبير عن خصائص ثقافة المجتمع وعن تطلعاتها فى الحياة، بحيث يؤدى استثمارها بالوسائل التربوية إلى ما ينشده المجتمع من القيم العلمية، ومن التماسك الاجتماعى.

وبعد، فهذا الكتاب لا يتوجه إلى المتخصصين فى مجال علم النفس والتربية فحسب، وإنما إلى جمهرة القراء الذين يتوقون إلى فهم للعلاقة بين الأبناء والآباء، علاقة تقوم على تقدير من جانب الآباء وحب لا يشوبه خوف من جانب الأبناء.

أ.د نبيه محمد حموده

عميد كلية التربية .

جامعة الزقازيق (سابقاً)

استهلال

من المسلم به ـ قولاً وعملاً ـ أن الأسرة تلعب دوراً بارزاً وكبيراً في تنشئة الأبناء على أسس سليمة.. من خلال ما تتبعه من قواعد تربوية وأساليب نفسية، وما تهدف إليه من تشكيلهم في بيئاتهم الأولى والمباشرة.. بدءاً من لحظات تكوينهم وحتى فترة خروجهم إلى هذه الحياة الدنيا، ووصولا بهم إلى مرحلة الرشد والإدراك!

وتتجلى لنا هذه الحقيقة إذا ما علمنا أن الطفولة صانعة المستقبل ـ كما يقولون ـ وأن أطفال اليوم هم أمل الغد المرتقب الذى تعقد عليه الأمة ـ أى أمة ـ حلمها وأملها فى مستقبل أفضل يكون أكثر إشراقا وتقدما وتفوقا بين الأمم الأخرى فى هذا العالم المحيط.

فهؤلاء الأبناء هم الذين يسند إليهم ـ عندما يكبرون ـ مهمة الاضطلاع ببناء مجتمعهم الكبير الذى يتواجدون فيه وينخرطون فى سلكه، فيعملون على تنميته ويسعون لتطويره والنهوض به بفضل ما يتشبعون به من مبادئ وقيم تربويةعملت الأسرة على بثها وتعميقها وتأصيلها فى نفوس ووجدانات أبنائها على مدى مراحل نموهم المختلفة، انطلاقا من إدراكها لرسالتها فى مجال التنشئة الاجتماعية والتربية الأسرية على السواء.

ولسنا فى حاجة إلى التأكيد على أن مرحلة الطفولة تمثل ركيزة أساسية فى حياة الإنسان الراشد، حيث إن الخبرات والمواقف التى يمر بها الطفل فى حياته الأولى تترك آثاراً باقية فى حياته، ولذلك فإن الطفل إذا تمتع بطفولة سوية فالغالب أنه يحيا مرحلة مراهقة سوية أيضا، بل يتجاوز مخاطرها وهزاتها النفسية وهو فى وضع نفسى آمن. وهذا ما ينقله ـ فى الوقت نفسه ـ إلى مرحلة شباب ناضجة وخالية من أى عقد أو مشكلات نفسية كان من الممكن أن يتعرض لها.

وبالمثل إذا تعرض الطفل فى فترات حياته الأولى لنوع من القسوة والتشدد فى معاملة الوالدين له أو المربين عموماً، ومحاصرته أو محاولة «سلسلته» بالعديد من الأوامر والنواهى.. فإن ذلك من شأنه أن يؤدى بالأبناء الصغار إلى تكوين شخصية عدوانية حاقدة، منطوية على نفسها، ناقمة على الأسرة وعلى المجتمع ككل!

ومن ثم فنحن نرى أن الأسلوب الأسرى التربوى الأمثل فى معاملة الأبناء وتنشئتهم يجب أن يأخذ ـ من جانب الوالدين ـ مسلك الاعتدال والتوسط بين الترغيب والترهيب، أو استعمال الشدة أحيانا والرأفة أحيانا أخرى.

فطبقا لما بينته البحوث النفسية والدراسات التربوية أن الصحة النفسية للأطفال وحسن العلاقة بينهم وبين والديهم تتوقف ـ إلى حد كبير ـ على مدى نجاح الوالدين أنفسهم فى رعاية شئون أبنائهم والعناية بتربيتهم من المهد إلى اللحد إن جاز التعبير!!

وإذا كانت تنشئة الأبناء وتربيتهم من خلال الدور الذى تقوم به الأسرة فى هذا الصدد (إلى جانب المؤسسات الاجتماعية الأخرى) هدفاً تسعى إليه كل المجتمعات البشرية على اختلاف نظمها الاجتماعية وأيديولوچياتها السياسية، فإننا نلفت الأنظار إلى أن هذا الهدف الأسمى لا يمكن تحقيقه بالأحلام والأمانى المجردة، أو من خلال النوايا الحسنة والمقاصد النبيلة!.

وإنما يتحقق **إذا ما توافر له فى جانب الأسرة ـ أولاً ـ الأسس التى تقوم عليها عملية التنشئة الاجتماعية** Socialization **إلى جانب مبادئ الإعداد التربوى الدينى السليم**، كما لابد أن يتوافر هذا كله فى جانب المؤسسات أو «الوسائط» الاجتماعية الأخرى التى تشترك مع الأسرة فى الاضطلاع بعملية التنشئة الاجتماعية والتربوية للأبناء فى المجتمع.

فمن المعلوم أنه بقدر (وعى) وتمكن مؤسسات التطبيع الاجتماعى من أهداف التنشئة الاجتماعية وإدراكها «لفلسفة التربية فى المجتمع» Education and Its philosophy in society **بقدر ما يتحقق نجاحها فى أداء رسالتهاالتربوية والاجتماعية على النحو المنشود.**

والطفولة ـ كما هو معروف ـ هى المرحلة الأولى من مراحل عمر الإنسان، تبدأ من لحظة الميلاد وحتى بلوغ الطفل سن الرشد وهى سن الخامسة عشرة التى حددتها الشريعة الإسلامية حداً فاصلاً بين مرحلتين متتابعتين (الطفولة والمراهقة).

ومن ثم فلا جدال أن تطبيع الأبناء اجتماعياً وتهذيب سلوكهم أخلاقياً منذ نشأتهم فى إطار الأسرة وقيمها الاجتماعية السليمة ـ باعتبارها المحضن الطبيعى اللصيق بهم ـ إنما يتيح لهم لوناً من النمو السليم الذى يحقق فى شخصياتهم أنماطاً قويمة من الفكر والعاطفة والسلوك الاجتماعى الرشيد.

وإذا كانت التربية Education والتنشئة الاجتماعية لهؤلاء الأبناء من خلال تلك الوسائط الاجتماعية المختلفة تعنى بتنمية الطفل بدنياً وعقلياً، وصقل شخصيته، وتعمل على زيادة نموه جسمياًوصحياً من الناحية العضوية، **فمما لاشك فيه أن التربية الروحية (الدينية) يجب أن تعنى بالتكوين الخلقى**

والروحى عند الأبناء، وأن تحرص على إسعادهم وتكيفهم داخل الأسرة وتوافقهم مع مجتمعهم العريض،وصولاً بهم إلى حد التوازن فى نفس الكائن البشرى بين رغبات الإنسان المادية وتطلعاته الروحية فى آن واحد!

إذا كان هذا هو مجمل القول فى بيان: **أين يكمن دور الأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء؟** فثمة وسائط أو «وكالات تطبيع اجتماعى» أخرى ـ كما يسميها البعض ـ لها نفس الدور الذى تقوم به تجاه الأبناء الصغار فى هذا الصدد، ولعلنا فصلنا ذلك فى موضعه من ذلك الكتاب، ولكننا نخص بالذكر منها وسائل الإعلام أو الاتصال (Mass Communication) من إذاعة وتلفاز وسينما وصحافة باختلاف أنواعها.

وتكمن خطورة تلك الوسائل فى مجال تأثيرها (سلبياً) على الأبناء وشخصياتهم وتنشئتهم الاجتماعية فى أنها قد تؤكد بعض الاتجاهات التى تختلف عن تلك التى تؤكدها الأسرة أو تبثها فيهم.. إذ يرى البعض ـ بحق ـ (أن التليفزيون ـ على سبيل المثال ـ يخرب تأثير الآباء فى تنشئة الأبناء)!!

ونوضح ذلك فنقول: إنّ التأثير السلبى ـ هنا ـ يرجع لعدة عوامل تلعب دورها فى هذا الشأن، وهى: التكرار، الجاذبية، الدعوة إلى المشاركة أو التفاعل Interaction مع الوسيلة الإعلامية من خلال برنامجها الموجه للطفل خلال ساعات بقائه الطويلة فى المنزل بصفة خاصة، بالإضافة إلى رغبة الأبناء فى التقمص نتيجة توحدهم أو اندماجهم مع الشخصيات التى يشاهدونها من خلال البرامج والتمثيليات التى يعرضها التليفزيون دون مراعاته لظروفهم ومداركهم وأعمارهم الغضة!.

وبعد.. **فهذا الكتاب محاولة متواضعة من جانبنا لبيان أسس تنشئة الأبناء اجتماعيا وتربويا ونفسيا، وذلك من خلال الدور الذى يقع على عاتق مؤسسات التطبيع الاجتماعى للأبناء ـ وفى مقدمتها الأسرة ـ باعتبارها المحور الذى تدور حوله الفصول التالية.**

والله أسأل أن أكون قدمت فى هذا الكتاب ما ينفع القارئ ويفيده.

(إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب).

المؤلف

السيد أحمد المخزنجى

الفصل الأول

التكوين الاجتماعى للأسرة

الحديث عن التكوين الاجتماعى للأسرة يسبقه ـ بطبيعة الحال ـ الحديث عن «النواة» التى ينبثق منها هذا التكوين وهى «الأسرة» ولا ريب أن نظام الأسرة من الأنظمة الثابتة فى المجتمعات الإنسانية على اختلافها وتباين نظمها الاجتماعية السائدة، وأن الأسرة نواة المجتمع ـ أى مجتمع بشرى ـ والخلية الأولى فيه، ومن هنا فإن تكوين المجتمع ودراسته لا تكون صحيحة إلا على أساس دراسة بناء الأسرة وتكوينها.

وتأسيساً على ذلك فإنه يمكننا تعريف الأسرة بأنها: «الوحدة الأولى فى المجتمع والبيئة الصغيرة للفرد». وتعتبر الأسرة ـ من ثم ـ نظاماً اجتماعياً بالنظر إلى وظائفها الأولية، ولها مستوى أداء وظيفى، كما أنها تضع من القواعد والنظم الاجتماعية ما يكفل تنظيم السلوك الفردى والجماعى فى ظل نظامها الأولى بصفة خاصة، ونظام المجتمع الواسع بصفة عامة. فضلا عن أنها تنظم أسلوب الزواج وعاداته وتقاليده ومستوياته ومسئولياته ومعايير احترام كل طرف لوجهة نظر الطرف الآخر، ومن ثم تؤدى وظيفة التنشئة الاجتماعية.

وللأسرة «سمات» تعرف بسمات شخصية الأسرة ويقصد بها: مجموعة الخصائص التى تميز الأسرة والظروف التى تحيط بها كالتوافق بين الزوجين

والتصدع الأسرى أو عدمه والحالة الاقتصادية والمستوى الثقافى للأبوين والقيم السائدة فيها ودرجة التدين الذى تتمتع به.. إلخ.

«وترجع أهمية دراسة الأسرة وخصائصها فى مجال دراستنا إلى أنها أولى الجماعات التى ينتمى إليها الطفل وأشدها صلة به، فهى المجال الأول الذى تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، بمعنى أن الطفل يتلقى فيها طريقة إدراك الحياة كما يتلقى التوجيه وأسلوب التكيف مع المجتمع ومع الآخرين»[1] كما تتم من خلالها عملية تدريب الفرد على الاتجاهات العاطفية نحو الآخرين ونحو المجتمع، إلى جانب تدريبه على المهارات الاجتماعية فى التعامل بوجه عام.

ولا يحتاج بيان أهمية دور الأسرة بالنسبة للطفل فى إشباع حاجاته المادية والعاطفية إلى تأكيد، فهى التى تمده بالمأكل والمأوى والملبس وتشمله بالحب والرعاية والطمأنينة. ويكفى للتدليل على هذه الأهمية قول بعض العلماء «إن تحديد اتجاه الطفل نحو الجريمة يتحدد إلى حد كبير بما يلقاه منها من رعاية وحنان وحب وتوفير لحاجاته»[2]. ولذلك فإن قيام الأسرة بعملية التنشئة الاجتماعية للأفراد يعتبر ضرورة قائمة حتى يرتبط سلوك الفرد بالمعانى التى تتكون عنده من المواقف المختلفة التى يتفاعل فيها. «فالطفل عادة فى حاجة إلى تكوين اتجاهات عن طريق المشاركة فى المواقف التى تمر بالأسرة، وتعمل على تنمية الوعى الاجتماعى وإدراك القيم السلوكية المختلفة، وإذا كانت هذه المرحلة من العمر يغلب عليها طابع تقليد الصغير لأبويه فهنا تبدو أهمية الدور الذى يلعبه الكبار فى حياة الصغار فهم يحددون أغلب معانى المواقف المختلفة فى حياة الطفل وما تتضمنه من علاقات اجتماعية»[3]. «وليس من شك أن النمو اللغوى له أثره فى التفاعل الخلاق فى هذا الطور من حياة الطفل، إذ يساعده على اكتساب اتجاهات الكبار نحو المواقف الهامة، وهنا تبرز أهمية السلوك اللغوى وأثره فى طريقة توجيه الطفل إلى المعانى».

إذا كان للأسرة فضل تنشئة الفرد وتلقينه تراثها الاجتماعى وتعويده آداب السلوك والقيم الاجتماعية السائدة، فمن الأهمية بمكان أن يلقى الأبناء من قبل المجتمع أنواع الرعاية المختلفة حتى تتمكن الأسرة من أداء دورها الهام فى تنشئتهم بحيث تخلق منهم شخصيات سوية لها من المهارات والاتجاهات والتطلعات الهادفة ما يحقق أثرها فى تكوينهم تكوينا اجتماعيا سليما.

وعلى هذا فإن الأسرة تقوم بتشكيل سلوك الطفل سواء أكان ذلك بطريقة إرادية أم بطريقة غير إرادية وكلمة السلوك هنا تعنى: الفعل وطريقة التفكير وذلك من خلال ما تعلمه إياه وما تلقنه له من مبادئ وقيم وما تورثه له من إمكانيات تعده لتحمل المسئولية، وكذلك بما تتيحه من مؤثرات ينطبع بها سلوكه وبما توفره له من رعاية مادية. «وعلى ذلك فإن سمات شخصية الفرد تتكون من خلال عملية تنشئته اجتماعيا وفقا للثقافة السائدة فى الأسرة والتى ترمى إلى تلقينها للطفل أو يكتسبها الطفل من خلال تقليده لأعضائها فى سلوكه أو نتيجة ما يتخلف عن عمليات التربية من سمات سلبية وأيضا وفقا لما تعوده عليه من ميل إلى اتباع نظم المجتمع القانونية والخلقية وأنماط السلوك المتعارف عليها فى المجتمع»[٤].

والرابطة الأسرية (الزواج) هى الأساس الأول الذى تتكون بموجبه الأسرة إلى جانب ما يرتبه من آثار اجتماعية مختلفة تتمثل فى إنجاب الأولاد ورعايتهم وتنشئتهم التنشئة الاجتماعية على أسس سليمة، كل ذلك من جانب الزوجين نفسيهما، ويطلق اسم الزواج على رابطة تقوم بين رجل وامرأة ينظمها القانون أو العرف ويحل بموجبها للرجل (الزوج) أن يطأ المرأة ليستولدها (أى لينجب منها).

وينشأ عن هذه الرابطة أسرة تترتب فيها حقوق وواجبات تتعلق بالزوجين والأولاد. فالزواج - على هذا النحو - هو وسيلة استمرار الحياة ودوامها فى

إنجاب الذرية وهو حجر الأساس والدعامة الكبرى التى يقوم عليها بناء الأسرة. وهو رابطة مقدسة (مطهرة شريفة) لما تقوم عليه من المعانى الروحية والعاطفية أكثر مما تقوم على أى معنى آخر. وهو عقد لايراد به صفقة عابرة، ولا أمراً وقتيا سريع الزوال، بل هو عقد يقوم على اشتراك طرفيه فى الحياة فى شركة يراد بها الدوام والاستقرار. شركة تامة فى شئون الحياة ما خفى منها وما ظهر، ما عظم منها وما صغر، فهو بهذا الشكل أشبه بشركة متشعبة النواحى متشابكة الأطراف ثقيلة الأعباء كثيرة التبعات.

وعقد هذه طبيعته وهذا جلال شأنه يجب أن يتمتع كل من طرفيه بالإرادة الكاملة والرضا التام، أكثر من أى طرفين فى عقد آخر، فليس لكائن من كان أن يكره على الإقدام عليه ولا على الارتباط بمن لا يريد الارتباط به. ومن حقه أن يترك فى هذا لشأنه، لا سلطان عليه إلا إيمانه وعقيدته وظروفه التى هو أدرى بها من غيره، على ألا يمس حقوق الآخرين وألا يسىء استعمال هذا الحق، وأن يلجأ لمشورة من يثق فيهم فى هذا الشأن، ويسعى إلى الاستقامة حينما يكون فى حاجة إلى إحصان نفسه بهذا الزواج.

وللزواج كنظام اجتماعى تعريف من وجهة نظر الفقه الإسلامى مقتضاه إنه: «عقد يجمع بين المتعاقدين مادام يصح التعاقد بينهما فيحل بينهما الاستمتاع والإنجاب ويجعل منهما أساس أسرة، ويرتب لكل منهما حقوقاً على الآخر، وهو كسائر العقود التى يتوقف الالتزام فيها على اجتماع إرادتين: إحداهما تمثل جانب الإيجاب، والأخرى تمثل جانب القبول»[٥].

على أنه يسبق الرغبة فى (الزواج) مرحلة أخرى على جانب كبير من الأهمية نظراً للدور الخطير الذى تلعبه فى عملية استمرار أو ديمومة العلاقة الزوجية ذاتها ألا وهى مرحلة الاختيار.

فإذا عقد الإنسان عزمه على الزواج فإنه يسبق ذلك بمحاولة البحث والاختيار لمن تشاركه حياته هذه وإنجاب أولاده، وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة أن يحكم الشخص عقله وليس عاطفته أو رغبته التى لا شك أنه كثيراً ما يصيبها الجموح والهوى. ومن ثم فإن الاختيار عن طريق العقل والتفكير السليم الهادئ يضمن للزوج حياة مستقرة هانئة بعكس الاندفاع وراء النزوات والأهواء التى قد تكون نتيجتها الفشل الذريع. ويؤكد ذلك قول أحد المخضرمين من كبار الدعاة المسلمين المعاصرين فى (كرياته) **«إننى أنصح ـ وعن تجربة ـ كل فتاة وفتى يريدان الزواج ألا يجعلا ما يسميانه الحب أساساً للعلاقة الزوجية، إن الزواج إذا بدأ بهذه العاطفة التى يسمونها الحب لا يلبث أن تنطفئ جذوته بعد سنتين أو ثلاث، وخاصة إذا بادرتهما الذرية بالمجيء فالزواج يجب أن يقوم أولا على رضاء الوالدين ورضاء الزوج، أما تخطى إرادة الوالدين فما الزواج إذ ذاك إلا نزوة اتصال حتى إذا تم الاتصال وتكرر، وأصبحت المحبوبة طوع اليمين تبخر كل ذلك الغليان العاطفى ولم تبق إلا صلة صداقة بين الزوجين هى من أرقى صور الصداقة، هذا إذا أخلص كل منهما للآخر، وأعطى كل منهما حق الوفاء بهذه العلاقة الطاهرة، التى على أساسها يقوم عمار البيوت، وبالوفاء بها تدوم الحياة الزوجية سعيدة هانئة»**[٦].

ولعل مما يزكى هذا الرأى ويصدق تلك النصيحة قول الرسول الكريم فى حديثه الشريف «لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن ـ أى يهلكهن ـ ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن ـ أى تجعلهن يتجاوزن الحد بالمعصية ـ ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة (أى جارية) خرماء سوداء ذات دين أفضل (رواه أبو داود والترمذى ـ والخرماء: مثقوبة الأذن).

أما الخطبة فهى إعلان رغبة الرجل فى الزواج من امرأة معينة. يتم الزواج بعد الاستجابة لهذه الرغبة وفقا لمراسم تختلف باختلاف العادات والتقاليد.

---

* انظر عمر التلمسانى، ذكريات لا مذكرات، دار الدعوة بالإسكندرية، ص٢٧.

وتعتبر الخطبة ــ بكسر الخاء ــ عقداً تمهيدياً لعقد الزواج يحدد فيها المهر ويتفق فيها على الشروط التى يتضمنها العقد «وهى درجة تتوسط التفكير الذى هو أساس الاختيار النفسى وإبرام العقد، ويراد منها إعلان الرغبة من جانب الخاطب أو من يمثله فى التزوج بمن تحل بينهما الخطبة والزواج[٧] وإجابة هذه الرغبة من الطرف الآخربالقبول» . فهى وعد متبادل بين رجل وامرأة أو من يمثلها بعقد زواجهما فى المستقبل. والأمد الذى يكون بين الخطبة والعقد مرده إلى الخاطبين وحدهما يقضيان فى أمره بما يريدان طبقا لما تمليه عليهما الأعراف والظروف والملابسات فلاجناح عليهما إذا ما علم هذا الوقت أو أُرجىء أمر تحديده ولاما إذا طال الأمد أو قصر. ولما كان الزواج عقداً مدنيا فمن حق الزوجين أن يباشراه بنفسيهما ولكن العادة جرت على أن يوكلا بإجرائه أبويهما أو أحداً من الأقرباء أو الأصدقاء. ويشهد انعقاد العقد شاهدان يوقعان على صحيفة العقد، ويوقع عليه كبار المدعويين، ويعتبر ذلك تأكيداً لإشهار العقد وتقديراً لأسرة الزوجين. والمهم أنه بانعقاد العقد تتكون «النواة» الأولى للأسرة وهى الزوجان.

وإذا كان هذا الوضع ــ بهذا الشكل ــ يعبر عن وجود توافق نفسى وتفاهم بين الزوجين، وهو الأساس الذى يجب أن تتأسس عليه الرابطة الأسرية عموما، فلا يعنى ذلك إغفال الاختلاف الناشىء عن طبيعة الجنسين الفطرية. ولعل هذا ما دفع امرأة عربية ــ وهى أمامة بنت الحارس «أم إياس» ــ أن تلقى على مسامع ابنتها جملة من الوصايا التربوية ذات الدلالة الاجتماعية فى التنشئة السليمة، فمهدت تقول لها ما نصه :

أى بنية: إن الوصية لو تركت لعقل وفضل أدب أو مكرمة فى حسب

لتركت لذلك منك(*).. ولكن الوصية تذكرة للعاقل ومنبهة للغافل.

أى بنية لو استغنت المرأة بغنى أبويها وشدة حاجتها إليهما لكنت أغنى الناس عن الزوج ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال.

أى بنية: إنك قد فارقت الحواء(**) الذى منه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين(***) لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك ـ بكسر الميم ـ ملكا ـ بكسر اللام ـ فكونى له أمَةً (طائعة) يكن لك عبداً (مطيعا ومحترما) واحفظى عنى خِلالاً (خصالا) عشراً تكن لك ذخرا وذكراً.

فأما الأولى والثانية : المعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم أنفه منك إلا أطيب ريح واعلمى ـ أى بنيـة ـ أن الماء أطيب الطيب المفـقـود وأن الكحل أحسن الحسن الموجود.

وأما الخامسة والسادسة: فالتعهد (التربص) لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: الاحتفاظ بماله، والرعاية على حشمه ـ ذوى قرباه ـ وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التدبير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التقدير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشى له سراً، ولا تعصى له أمراً، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره. واتقى الفرح لديه إن كان ترحا (حزينا) والاكتئاب عنده إذا كان فرحا، فإن الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. واعلمى أنك لن تصلى إلى ذلك منه حتى تؤثرى هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت.

* تريد أنها مؤدبة.
** الحواء (المكان ـ وهو البيت).
*** قرين (زوج)

الأسرة هى المجتمع الصغير للمرء، كما ذكرنا من قبل، ونعنى بها تلك المجموعة الصغيرة التى تقيم مع المرء فى بيت واحد ويظلها وإياه سقف واحد وتتألف عادة من : الوالدين إن وجدا والزوج والزوجة والأولاد: بنين وبنات، وتفرض علاقة أفراد الأسرة بعضهم ببعض مجموعة من الحقوق والواجبات والآداب التربوية والاجتماعية التى تجعل منهم مجتمعا مثاليا مترابط الأواصر قائما على الحب والود والتراحم والإيثار والاحترام ورعاية الكرامة الشخصية لكل فرد من الاستمساك بأخلاق العفة والحياء والوقار، وسائر المثل والقيم الأخلاقية التى تنزع بالمرء دائماً إلى معالى الأمور وجميل صفات الآداب. ويلزم لضمان ذلك تعلق مجموعة من الحقوق والواجبات موزعة بين الزوجين ـ أولا ـ والأولاد وسائر أفراد الأسرة ثانيا.

فمن حق الزوجة على زوجها أن يرفق بها وأن يلطف لها القول، فهى لقوة انفعالها مرهفة الحس، ومن حسن المعاشرة أيضا بسط الوجه وطرح التكلف وبذل الدعابة ومن حق المرأة على زوجها أن ينفق عليها وألا يقتر (أى يضيق عليها) إذا كان ذا طول واقتدار، فالمرأة تحب المال لتنفقه فى زينتها وفى كل ما يجلو محاسنها لتسر زوجها بالنظر إليها. ومن حق المرأة على زوجها أيضا ألا يبالغ فى إساءة الظن بها وتتبع عوراتها (سيئاتها) فقد نهى عن ذلك. وكذلك على الزوج أن يوفى امرأته حقها من المهر والنفقة والقسم (أى النصيب).

ومن حقوق الزوج على زوجته طاعته كلما دعاها إلى فراشه فهذا مما يتفق وتحقيق غريزة النوع أو التناسل فإن امتنعت لغير عذر حقيقى لديها فتكون مقصرة ومخطئة فى ذلك تماماً.

والحق الثانى للرجل على زوجته أن تحفظه فى ماله، وفى نفسها وعرضها إذا غاب عنها، كأن خرج مسافراً سعيا لطلب الرزق والمعاش، وكذلك من حق الزوج على زوجته أن تطيعه فى غير معصية ولا إثم، وأن تخلص له الود وترعى بيته وأن تحضن أولاده وتربيهم على الصلاح وتنشئهم على

الخلق القـويم ـ وكـما يقول صاحب كتاب الزواج عند العرب ـ «ومن هذه الموجبات أطلقوا على المرأة تسميات تدل عليها فالمرأة معزبة الرجل لأنها تحضنه وتذهب عزوبته وهى ربضة أى قيمة بيته وهى حاضنته لأنها تحضن أولاده وهى بيته الذى يأوى اليه» .[٨]

على أن الرجل ـ فى ظل هذا النظام الاجتـمـاعى ـ ما هو إلاّ راعٍ للأسـرة وقيم عليها وسلطته فيها سلطة ولاية وقيادة، وليست سلطة تحكم واستبدادٍ، كما أن طاعة الزوجة لزوجـهـا هنا ليست طاعة من قبيل الأدنى للأعلى وإنّما هى موافقة وتسليم طوعى ومشاركة فى كل ما ينفع الأسرة. ومن هنا تبرز لنا أهمية التكوين الاجتماعى للأسرة على هذا الأساس المهم لما له من أثر كبير فى تنشئة الأبناء التنشئة الاجتماعية المبنية على الأسس السليمة لنظام الأسرة، بل إن من يدقق النظر فى حقـوق وواجبـات الزوجيـة داخل نظام الأسرة يجدها متـوازنة ومتـوازية، والالتزام بها يقـوم على وازع من الدين والأخلاق وبه تشيع الألفة والمودة بين الزوجين.

وهكذا فإن دوام الحياة الزوجية رهن بدوام المحبة والمودة والتعاطف والتراحم بين الزوجين، إذ المحبة هى الحب السليم الذى يتحول بعد الزواج إلى إحسـاس متبادل بين الزوجين، وشعور بالواجب الملقى على عاتق كل منهـمـا فى ظل ذلك النظام، بحيث يسود تلك الحياة الزوجية التفاهم والتسامح والرضا الميمون. ولعل من أطرف ما يروى فى ذلك قول أحد الأزواج لزوجته ـ شعراً ـ

خذى العفو منى تستديمى مودتـى
ولا تنطقى فى ثورتى حين أغضب
ولا تكثرى الشكوى فتذهب بالهوى
فيأباك قلبـى والقلـوب تقـلـب
فإنى رأيت الحب فى القلب والأذى
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهـب

الخلاصة

الأسرة إذن هي الخلية الأولى فى المجتمع والبيئة المباشرة للطفل أو الأبناء عموما، وترجع أهمية دراسة الأسرة وخصائصها فى مجال دراستنا هذه إلى أنها أولى الجماعات التى ينتمى إليها الأبناء أنفسهم، وأشدها صلة بهم، ومن ثم فهى المجال الأول الذى تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية لهم، فالطفل يتلقى فيها طريقة إدراك الحياة كما يتلقى التوجيه وأسلوب التكيف مع المجتمع ومع الآخرين. ومن ثم تلعب الأسرة بمحيطها الضيق دوراً مهماً فى التكوين الاجتماعى للطفل ـ أو الأبناء ـ بحيث تخلق منهم شخصيات سوية.

وتقوم الرابطة الأسرية فى مبدئها على الزواج وهو النظام الاجتماعى الذى يتأسس عليه صرح الأسرة والذى تسبقه مرحلة على جانب كبير من الأهمية، ألا وهى ضرورة التوافق النفسى والتفاهم العائلى بين الزوجين فى مبدأ الأمر، وهو ما يعرف بالاختيار قبل الزواج الذى يجب أن يتخلى فيه الفرد عن أى عاطفة عارمة أو أى هوى جامح، وإنما عليه أن يحكم فى ذلك عقله وتفكيره إلى جانب عاطفته ورغباته.

وبالزواج تنشأ حياة جديدة بين الزوجين مختلفة فى أوضاعها وطبائعها، الأمر الذى يوجب على الزوجين مراعاة ظروف الواحد منهما للآخر. وهذا ما أوصت به إحدى المربيات الفضليات ابنتها لكى تدوم العشرة الحسنة بينها وبين زوجها وتستقر الأسرة بهذا الشكل أعظم استقرار، الأمر الذى ينعكس بطبيعة الحال على تربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة سليمة فى ظل ما يعرف كل من الزوجين من حقوق وواجبات .

على أن الالتزام داخل الأسرة يجب أن يقوم على وازع من الدين وآدابه والأخلاق وفضائلها، فتشيع الألفة والمودة بين الزوجين. فدوام الحياة الزوجية رهن بدوام المحبة والمودة والتعاطف والتراحم بين الزوجين على مر الأيام وطول الطريق.

مراجع الفصل الأول

١ ـ سلوى توفيق بكير (دكتورة) : مبادئ علم الإجرام وعلم العقاب، القسم الأول ـ علم الإجرام ـ مطبعة الأمانة ـ القاهرة ـ ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢م ص ١٥١.

٢ ـ نجيب اسكندر (دكتور) : الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، مؤسسة المطبوعات الحديثة «الطبعة الثانية» ١٩٦١م، ص ١٤٢.

٣ ـ سلوى بكير، المرجع السابق، ص ١٥٢.

٤ ـ محمد سلام مدكور (دكتور) : الوجيز لأحكام الأسرة فى الإسلام دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨، ص ٦.

٥ ـ المرجع السابق ص ٢٢.

٦ ـ عمر التلمساني: ذكريات لا مذكرات، دار الدعوة بالإسكندرية، ص ٢٧.

٧ ـ عبد السلام الترمانيني (دكتور) : الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة) المجلس الوطنى للثقافة ـ الكويت (عالم المعرفة) ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م، الطبعة الثانية، ص ٧٠ ـ ٧٢.

٨ ـ المرجع السابق، ص ١٥٣، ص ١٥٥.

الفصل الثانى

المفاهيم الاجتماعية المتعلقة بتنشئة الأبناء

قلنا ـ من قبل ـ إنه بانعقاد عقد الزواج تتكون «النواة» الأولى للأسرة وتتمثل فى الزوجين، ثم ما يلبث الوضع أن يتطور شيئا فشيئا بإنجاب الأبناء. وعلى هذا فهى تشكل مجتمعا مصغراً يؤثر ويتأثر بالعديد من المفاهيم الاجتماعية النظرية وخصوصا التى تتعلق منها بالتنشئة الاجتماعية للأبناء.

وبناء عليه فلا يتأتى لنا ـ موضوعيا ومنطقيا ـ أن نتكلم عما «يجب أن يراعيه الآباء من تقديم القدوة الصالحة أو تنمية الاتجاهات والقيم النفسية اللازمة لتنشئة أبنائهم تنشئة متكاملة، أو تجنيبهم الآثار السلبية لبعض العلاقات الأسرية أو السمات الشخصية لبعض الآباء» إلا إذا ألقينا الضوء على بعض المفاهيم الاجتماعية التى تعد بمثابة الأطر النظرية التى تلعب دوراً محدداً وبارزاً فى عملية التنشئة الاجتماعية.. ومن تلك المفاهيم ما يلى:

تعريف الفرد: (١) Individual .

لعل أول ما يطالعنا ـ فى هذا الصدد ـ تعريف «لنتون» LINTON للفرد بقوله «الفرد كائن حى قادر على التفكير والفعل بذاته» ولعله يقصد بذلك أن الفرد قادر على التأثير فى المحيط الذى يعيش فيه والتأثر به بدليل قوله «لكن استقلاله الذاتى هذا مقيد واستجاباته يشكلها تشكيلا جذريا الاحتكاك بالمجتمع والثقافة اللذين ينمو فيهما».

والجماعة هى الوحدة الاجتماعية التى تتكون من عدد من الأفراد يشغلون علاقات ومراكز محددة كما يقومون بأدوار معينة بالنسبة لبعضهم البعض، ولديها جهاز من القيم والمعايير خاص بها ينظم سلوك الأفراد الأعضاء فيها ـ على الأقل ـ فى الأمور التى تؤثر فى وحدة وبقاء الجماعة. وتظهر العلاقة واضحة بين ذكرنا لتعريف الجماعة والقيم فى أن الجماعة قد توجد لنفسها «قيما» Values معينة تسير عليها وتلزم أعضاءها وتحتم المحافظة عليها» (٢).

الأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأولى التى ينشأ فيها الطفل ويلتقى بها ـ كما أشرنا من قبل ـ «مما يجعل الطريقة التى يتفاعل بها أعضاؤه ونوع العلاقات التى يخبرها تمثل النماذج التى تتشكل وفقا لها تفاعلاته وعلاقاته الاجتماعية ويتأثر بها نموه الانفعالى والعاطفى. ولهذا كله أثر فى سير عملية التطبيع الاجتماعى للطفل» (٣) كما سنبين فيما بعد.

المجتمع: society

قلنا ـ منذ قليل ـ إن المجتمع أوسع نطاقا من الجماعة كما أنه يضم مجموعة من الأفراد أيا كانت نسبتهم العددية ويتضح من ذلك أن للمجتمع تعريف أعم. والرأى الراجح ـ عندنا ـ فى تعريف المجتمع أنه: «أوسع تجمع للناس الذين يتشاطرون نظاما مشتركا من العادات والمثل والاتجاهات ويسكنون أرضا محددة ويعتبرون أنفسهم وحدة اجتماعية» (٤).

الثقافة: Culture

ثمة تعريفات وضعت لتحديد مفهوم الثقافة Culture لا نجد ضرورة للتعرض لها هنا ولكننا سنعرض لبعضها ـ وهو ما يتعلق بموضوع دراستنا هذه ومن بين تلك التعريفات ما يذهب إليه كولن (Collin) من أن الثقافة «تشتمل على جميع أنواع السلوك المكتسبة (أى غير الوراثية) التى يتبعها الأفراد بشكل عام فى مجتمع من المجتمعات»، ويعرفها جولدن وزر Goldenweiser بأنها: تشتمل على مواقف المجتمع ومعتقداته وأفكاره وأحكامه على الأشياء والقيم التى يتمسك بها ونظمه السياسية والقضائية والدينية وقوانينه العنصرية وقواعد المعاملات الذوقية Etiquette وكتبه الدينية، والآلات والأدوات التى يستخدمها فى معيشته والعلوم والفلسفات التى وصل إليها)(٥).

وثمة تعريف آخر للثقافة باعتبارها «كل أساليب الحياة التى خلقها ويخلقها الإنسان ويتعلمها ويعلمها وينقلها إلى الأجيال التالية ويشترك فيها مع غيره من أعضاء الثقافة، وهى تشتمل على كل أنماط السلوك Patterns of behaviour والتقاليد والعادات والأفكار والمعتقدات والقيم، والمثل العليا، وكل أساليب الاتصال والفنون والآداب والأشياء المادية الناتجة عنها»(٦).

ويرى (أوجبرن) ogburn فى تفسيره لمفهوم الثقافة والشخصية (أن كل طفل يتلقى منذ نعومة أظفاره قدراً من التراث الثقافى بحيث تميل علاقته مع الغير إلى الدينامية وإن كانت علاقته يسودها طابع الخضوع لأحكام البيئة. ويحاول جون ديوى John Dewey أن يعطى رمزاً للموقف الثقافى بملاحظة أن الثقافة فى مجالها الواسع تؤثر وتتأثر بالتالى عن طريق الفرد ويبدو هذا التأثير الثقافى على شخصية الإنسان فى معارفنا)(٧).

وثقافة الفرد وليدة عوامل موروثة وعوامل مكتسبة، ويساهم المجتمع فى تشكيل نمط الشخصية الخاص به من حيث إنه يؤثر فى الخبرات التى يتعرض

لها أفراده فى طفولتهم فهم يكتسبون ثقافتهم من بيئتهم. ويمكن القول بأن الفـرد هو الذى يصنع الثـقـافـة، وفى نفس الوقت فـإن الثـقـافـة تصنع الفـرد. «فالطفل مثلاً يعتمد على الكبار اعتماداً يكاد يكون كاملا إلا أنه فى انفعالاته غير مقيـد. وهو يتـشرب الثـقـافة بواسطة أنماط التـصـرف والفكر التى تشكل ثقافته، فنحن نغرس فى نفوس الأطفال عادات مقبولة اجتماعياً، والثقافة تشكل الطفل عقليا وانفعاليا»[٨]. ومن دراستنا لمفهوم الثقافة نجد ثمة علاقة بينها وبين القيم الروحيـة Spiritual values فالقيم الروحية تحدد مضمون الثقافة واتجاهاتها وتعتبر أساس حياة الإنسان وعلاقاته الاجتماعية، وتحدد الظروف المادية والتاريخية نوع الثقافة ومستواها، بينما تحدد القيم الروحية المضمون والاتجاهات «والثقافة اجتماعية لأنها تميز كل مجتمع عن الآخر ولأنها تمثل (طريقة الحياة الكلية للمجتمع)»[٩]

القيم: Values

مع تقديرنا لصعوبة الاتفاق على تعريف جامع لبعض المفاهيم النظرية فى الدراسات الأكاديمية (الاجتماعية) كالقيم، الدين، العلم فبالإمكان أن نصل إلى تعريف للقيم إذا ما قلنا إن القيم ـ لغة ـ تعنى ما استقام عليه الإنسان فى كل أموره وأما ـ اصطلاحا ـ فهى «مجموع ما لفرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات ـ سواء كانت أسرة أو عشيرة أو قبيلة من ميراث وحضارة وأنماط سلوك وعادات وتقاليد وطباع وثقافة Culture تعنى فى مضمونها بوضع معايير محددة للسلوك الإنسانى على الفرد أن يتبعها وأن يلتزم بها وأن يكيف سلوكه وفقا لها أينما كان موقعه فى فئة من تلك الفئات المختلفة وتلك المعايير»[١٠]. وتتصل الأحكام الخلقية ـ من ثم ـ بالمعايير والقيم والمثل العليا لا بالوقائع والحقائق، **فهى تبحث فيما ينبغى أن يكون** Oughtto **لابما هو واقع** Whatis **ولقد قسم**

مكدوجال Mcdougell السلوك الإنسانى - فى هذا الصدد - إلى أربعة مستويات مستوى السلوك الأول: يشتمل على مرحلة السلوك الغريزى نتيجة اللذة والألم، والمستوى الثانى يشتمل على مرحلة تعديل السلوك بالثواب والعقاب، ويشتمل المستوى الثالث على تعديل السلوك الغريزى بالمدح والذم، أما المستوى الرابع فيشتمل على مرحلة تنظيم السلوك عن طريق المثل العليا. ومن ثم فإن السلوك الإنسانى يختلف باختلاف الأشخاص وباختلاف المواقف بالنسبة لهم.

وكل الأنظمة التربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية تعبر عن قيم أخلاقية ذات طابع معين. «ويميز داخل القواعد الخلقية بين الأخلاق الذاتية Ethics التى تجد أساس إلزامها فى النزوع الذاتى الفردى إلى الالتزام بها وتهدف قواعدها إلى السمو الروحى والعقلى بالإنسان، وبين الأخلاق الاجتماعية الوضعية Positive Morality وهى مجموعة القواعد التى تعارف عليها المجتمع للسلوك الحسن والتى تجد جزاءها فى استهجان أعضاء الجماعة للسلوك المخالف لها»[١١]. ومثال القواعد الأولى أن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه وأن يعفو عند المقدرة وأن يقابل السيئة بالحسنة ومثال القواعد الثانية بر الوالدين والصدق فى التعامل ومراعاة ما تعارف عليه الناس من آداب اللياقة Ethique فالقواعد الأولى تنشد السمو الخلقى أما القواعد الثانية فهى تخاطب الشخص العادى.

والتربية فى هذا السياق عملية خلقية لما تقوم به من إعداد الأجيال الناشئة لعضوية المجتمع وهى فى تحملها لهذه المسئولية تقوم بإعدادهم إعداداً علميا وخلقيا وجسميا وعاطفيا بما يتناسب مع حاجات المجتمع ومطالبه. وإذا كانت القيم الأخلاقية جزءاً من ثقافة المجتمع، فإن مهمة التربية حفظ القيم الأخلاقية التى أبقى المجتمع عليها ونظم حياته على أساسها، وكذلك تطوير القيم التى

يريد تطويرها. فالذي يهمنا في مجال التربية تكوين وتأصيل الأخلاق الحميدة فى الأبناء بكل ما تفرضه العادة على ذويها من نظام ورتابة، ذلك لأن الخلق وحده هو الذى يهزم نوازع الضعف الإنسانى ووساوس الهوى ويكبح جماح الطباع السيئة فى النفس المفطورة على حب المخالفة واستنكاف الأمور التكليفية. ومن ثم يتعين على التربية «أن تحدد القيم الأخلاقية المرغوب فيها والتى تتفق مع حياة المجتمع ومطالبه لتنميتها فى الأنشطة المختلفة»[١٢]. والأخلاق الإيجابية تكون بإعطاء المثل الأعلى للأخلاق والتدريب على السلوك الطيب وتكوين العادات الصالحة فمن مهمات التربية تغيير سلوك الفرد وفقا لعدد من القيم التى على أساسها يتحدد ما تقبله من ثقافة المجتمع وما ترفضه، فهى تربى فى ضوء قيم الجماعة وعلى أساس الأهداف الاجتماعية المقبولة.

ومن المتفق عليه أن المربى إذا عرف قواعد الأخلاق ونظرياتها واستطاع أن يدرك الحكمة الكامنة وراء ذلك فإنه ـ وبدون شك ـ يستطيع أن ينجح فى تأصيل القيم الأخلاقية فى نفوس أبنائه.

ومما لا ريب فيه أن العادات والتقاليد الأخلاقية السوية ذات دور بارز وفعال فى توجيه إرادات الأفراد الوجهة الصحيحة المرغوب فيها على نحو يتفق وقيم الجماعة البشرية ـ الأسرة فى موضوعنا بصفة خاصة ـ ويضبط سلوكها الإنسانى ضبطاً محكما يحميها من الشذوذ والانحراف عن جادة الصواب. ويمكن تعريف التقاليد بأنها: صورة مورثة من السلوك الاجتماعى Social be-haviour محوطة بالاحترام العام بغير بحث فى ماهيتها أو فى منشئها أو فى آثارها. وهى تستولى على مشاعر الجماعات فتوجه تصرفاتها بسلطان قد يكون أقوى من سلطان النصوص الوضعية حتى لو اقترنت مخالفة هذه النصوص بعقوبات جسمية. ويضيف جانب من الباحثين ـ فى هذا الصدد ـ قوله:

(وتدعم التقاليد قوة العادات فى كثير من الحالات، وتراعى التقاليد ـ عموما ـ فى المناسبات الرسمية وغالبا ما يصاحبها كثير من الانفعالات، ولهذا السبب فإنها تعتبر منظما قويا لعواطف الناس واتجاهاتهم نحو شىء معين أو موضوع معين، وتميل التقاليد إلى أن تخلق فى الشخص شعوراً بالمسئولية وإحساساً بالصواب والخطأ)[١٣]. ويقاس ثبات وحيوية جماعة معينة أو مجتمع معين غالبا بدرجة ملاحظة أفراده للتقاليد، ومن ناحية يعتبر عدم تقيد فرد معين بتقاليد الجماعة كدليل بعدم اهتمامه ومعاداته لها مما قد يعرضه لنقد الجماعة وعقابها. هذا عن التقاليد، أما عن العادات فهى لا تختلف فى جوهرها كثيراً عن التقاليد وإن كانت أقل منها شيوعا وأصعب رسوخا وأكثر تنوعا من مجتمع إلى آخر ـ ولو كان قريبا منه ـ أو من فرد إلى آخر ولو كانا ينتميان إلى نفس المجتمع المشترك[١٤].

حاجة الأبناء للتنشئة الاجتماعية:

تعد عملية التنشئة الاجتماعية من أولى وأهم العمليات الاجتماعية فى عملية التكوين التربوى والاجتماعى فى تنشئة الأبناء، كما سنفصل ذلك فيما بعد، فالفرد عندما يكون طفلا يكون منطويا على نفسه ذا ميول أنانية Egoistic فوضوية ثم يترعرع ويبدأ بالشعور بوجود الجماعة (الأسرة) التى يحيا فيها والتى يجب أن تتعهده بالتعليم والتثقيف وأن تلقنه مبادئ حسن المعاملة واللياقة والأدب ومبادئ القراءة والكتابة وبذلك يمكن للجماعة ـ أو الأسرة ـ أن تحوله بهذا الشكل من شخص خلق ليعيش لنفسه وبنفسه إلى شخص آخر يعيش فى جماعة يشاركها حياتها ويتحمل تبعاتها ليصبح عضواً مسئولاً فى المجتمع ذا سلوك إيجابى فيه.

على أن التنشئة الاجتماعية قد تعنى أيضا التعاطف الاجتماعى والميل نحو الآخرين وحب الاجتماع والتآلف أو الانخراط فى سلك المجتمع برمته، وعندما

ينضج الأبناء ويواجهون التجارب الاجتماعية واحدة بعد أخرى فإن هذه التجارب تزيد من درجة تنشئتهم الاجتماعية، فالتنشئة الاجتماعية ـ على هذا النحو ـ تؤدى إلى ما يمكن أن يسمى بالهوية التامة Identification بين مصالح الأفراد ومصالح الجماعة، والأبناء الذين ينشئون تنشئة اجتماعية كاملة ليسوا إلا هؤلاء الأشخاص الذين يعرفون «بالمواطن الصالح» لما يراعونه ويلتزمونه من القواعد والتقاليد والعادات السائدة فى بيئتهم الاجتماعية.

من هذا المنطلق يمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية تعنى مدى تغير سلوك الفرد فى المجتمع بحيث يتمكن من أداء دور ما داخل جماعته وفقا لقدراته وما تطبع عليه من عادات وقيم. معنى ذلك: أن التنشئة الاجتماعية تعتبر إحدى العمليات الاجتماعية التى تساعد على تكوين علاقات اجتماعية إيجابية مع الغير ولذلك فهى عملية بناء تتعلق بالفرد والجماعة على حد سواء فإذا كانت الجماعة (الأسرة) هى الإطار المرجعى للفرد الذى يتقبل منها توجيهات المجتمع وقيمه فإنه بالتالى يلزم أن يتوفر للجماعة كافة أساليب الترشيد الاجتماعى بحيث تكون موصلاً جيداً لتراث المجتمع وأهدافه وهذا ما نقصده بالتنشئة الاجتماعية.

ولعل هذا المفهوم يكون أشد ارتباطا بالأسرة لما لها من روابط وعلاقات متشعبة عديدة، ويوضح ذلك ما قام به بعض الباحثين محاولا التمييز بين أنواع العلاقات السائدة داخل الأسرة فقد وجد أن هناك ثمانية أنماط على الأقل من العلاقات الأساسية لكل منها وظيفتها الهامة فى مجال التنشئة الاجتماعية وهذه الأنماط هى:

١ـ علاقة الزوج والزوجة وهى «تقوم على أساس تنظيم الحقوق الزوجية والاقتصادية وتحديد المسئولية المشتركة نحو البيت والأولاد بكل ما يتضمن ذلك من إنجاب الأطفال وتنشئتهم اجتماعياً، وتقسيم العمل بين الزوجين فيما يتعلق بالملكية والسلطة وحق الطلاق.. إلخ»[١٥].

٢ـ علاقة الأب بالابن بما تتضمنه من مسئولية الأب نحو ابنه من تعليم وحماية ورعاية وتهذيب، وما يقابل ذلك من طاعة الابن لأبيه ثم علاقات التعاون الاقتصادى فى نواح معينة بالنسبة لنواحى النشاط المختلفة التى يضطلع بها الذكور خاصة بعد أن يكبر الابن الأكبر ويستطيع الإسهام فى الحياة الاقتصادية.

٣ـ علاقة الأم بالابنة وهى تشبه علاقة الأب بالابن إلا أنها تدور داخل البيت بما تتضمنه من عملية التنميط الجنسى (التوعية الجنسية).

٤ـ علاقة الأب بالابنة وتتمثل فى مسئوليته تجاه تربيتها وتجهيزها وزواجها وما إلى ذلك من أمور.

٥ـ العلاقة بين الأم والابن الذكر وتتمثل فيما تلعبه الأم من دور فى حياة ابنها من التصاق به خلال الطفولة ثم تعويده على الاستقلال التدريجى عن محيط النساء وكذلك تتضمن مسئولية الابن الذكر نحو أمه عندما يشب ويكبر وعندما تصبح ـ هى ـ مسنة وخاصة بعد موت الأب.

٦ـ العلاقة بين الأخوين وهى علاقة زمالة اللعب فى الصغر وعلاقة تعاون اقتصادى فى الكبر ومسئولية الأخ الأكبر تجاه إخوته بعد موت الأب ودوره فى تقسيم التركة.. إلخ[١٦].

٧ـ العلاقة بين الأختين وهى تماثل العلاقة بين الأخوين ولكن الأخت الكبرى عادة ما تكون مسئولة عن أخواتها الصغار حيث تقف منهم موقف الأم.

٨ ـ «علاقة الأخ بالأخت وهى علاقة زمالة لعب فى الصغر ثم يحدث نوع من التحفظ فى سلوك كل منهما إزاء الآخر. ويرتبط ذلك بتفاصيل المركز

الاجتماعى لكل منهما وما يشعر به الأخ من مسئولية نحو أخته خاصة بعد وفاة الوالد» (١٧).

الخلاصة

لعل أبرز ما ركزنا عليه فى هذا الفصل هو عرضنا للعديد من المفاهيم الاجتماعية النظرية، تلك التى تتعلق بأسلوب تنشئة الأبناء داخل الخلية الأولى للمجتمع وقد جمعنا فى ذلك جملة تعريفات عن الفرد، الجماعة، الأسرة من مفهوم التطبيع الاجتماعى ثم تناولنا تعريف الثقافة Culture. وأبرزنا مدى أثر الثقافة فى تنشئة الطفل، فثمة علاقة متبادلة بين الفرد والثقافة: فالفرد هو الذى يصنع الثقافة والثقافة تصنع الفرد فكلاهما يسير فى اتجاه واحد هو الشخصية الإنسانية. ومن دراستنا لمفهوم الثقافة نجد ثمة علاقة وطيدة بينها وبين القيم الروحية Spiritual values والقيم الأخلاقية، فالقيم الروحية تحدد مضمون الثقافة واتجاهاتها وتعتبر أساس حياة الإنسان وعلاقته الاجتماعية.

وإذا كانت القيم الأخلاقية جزءاً من ثقافة المجتمع فإن مهمة التربية Education حفظ القيم الأخلاقية التى أبقى المجتمع عليها ونظم حياته على أساسها. فالذى يهمنا فى مجال التربية تكوين وتأصيل الأخلاق الحميدة فى الأبناء بكل ما تفرضه العادة على ذويها، ذلك لأن الخلق هو وحده الجدير بأن يهزم نوازع الضعف الإنسانى. وهذا ما وسمناه «دور التربية فى تأصيل القيم فى الأبناء».

ولم يفتنا إلقاء الضوء على العادات والتقاليد ومالها من دور بارز وفعال فى توجيه إرادات الأفراد الوجهة الصحيحة المرغوب فيها.

وكان لابد أن نقف فى نهاية هذا الفصل على تحديد مفهوم التنشئة الاجتماعية ومدى حاجة الأبناء إلى عملية التنشئة تلك، لما تعنيه من تغير سلوك الفرد فى المجتمع بحيث يتمكن من أداء دور ما داخل جماعته وفقا لقدراته وما تطبع عليه من قيم وعادات وتقاليد. ولعل هذا المفهوم يكون أشد ارتباطا بالأسرة لما لها من روابط عديدة وعلاقات متشعبة فصلنا لها - من قبل - فى هذا الفصل والفصل الذى سبقه.

مراجع الفصل الثانى

١ ـ القيم والمبادئ السماوية ـ دورها وأثرها ـ فى بناء الإنسان وتوجيه المجتمع بحث على الآلة الكاتبة (غير منشور) حائز على جائزة وزارة التعليم العالى ـ (إدارة العلاقات الثقافية) عام ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م ـ بقلم: السيد أحمد المخزنجى، رقم ٢ فى الفصل التمهيدى.

٢ ـ نفس البحث رقم (٢).

٣ ـ سيد أحمد عثمان (دكتور): علم النفس الاجتماعى التربوى، الأنجلو المصرية ١٩٧٠م، ص٦٣.

٤ ـ السيد أحمد المخزنجى: البحث السابق، رقم ٤، ص٣.

٥ ـ حسن شحاتة سعفان (دكتور): أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٧١ ـ ١٩٧٢م ص ٢٢٦.

٦ ـ نبيه محمد حموده (دكتور): التأصيل الاجتماعى للتربية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص١١١.

٧ ـ نفس المرجع.

٨ ـ إسماعيل حسن عبد البارى (دكتور): أسس علم الاجتماع، مطبعة الكيلانى ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى، ١٩٧٧م، ص١٦٤.

٩ ـ نبيه حموده، المرجع السابق، ص١٢٦.

١٠ ـ المرجع السابق، نفسه، ص١١٣.

١١ ـ السيد أحمد المخزنجى: البحث السابق الإشارة إليه، والمراجع المشار إليها فيه، ص٦.

١٢ ـ نبيه محمد حموده (دكتور): التأصيل الفلسفى للتربية، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٤٢.

١٣ ـ محمد نور فرحات (دكتور): مبادئ نظرية القانون، هامش١ ص١٣٧ مشار إليه فى بحث القيم والمبادئ السماوية، السابق.

١٤ ـ نبيه حمودة، المرجع السابق، ص٤٣.

١٥ ـ د. رءوف عبيد : أصول علمى الإجرام والعقاب، ص١٥٢.

١٦ ـ إسماعيل عبد البارى، المرجع السابق، ص١١١.

١٧ ـ نبيل السمالوطى (دكتور) : دراسات فى علم الاجتماع، مطبعة الجبلاوى بالاسكندرية ـ ١٩٧٧م، ص ٢٣٧-٢٣٨

الفصل الثالث

الطفل - مراحل تطوره وتكوينه

المبحث الأول

المرحلة الأولى: ما قبل وحتى الميلاد

يمر الكائن الإنساني - خلال فترة ما قبل الميلاد - بثلاث مراحل عامة هي:

١- المرحلة الجرثومية Germinal

٢- المرحلة الجنينية Embryonic

٣- المرحلة الجنينية المتأخرة Fetal Embryonic

ويبدأ وجود الإنسان باتحاد نطفة الذكر (الحيوان المنوى) مع بويضة الأنثى وتكون البويضة الملقحة التى تنقسم ويتتابع انقسامها ليتكون الجنين وينمو ويتكامل. ويحتوى كل من الحيوان المنوى والبويضة على (٢٤) صبغيا «كروموسومات» Chromosomes وتتألف الصبغية بدورها من المورثات Genes وعدد المورثات الصبغية الواحدة يتراوح بين ٤٠، ١٠٠ مورث. وفى زمن الإخصاب تتزاوج المورثات الموجودة فى النطفة بمثيلاتها فى البويضة فتتحدد الصفات الكامنة فى الوليد المقبل وتسمى نتيجة اتحاد المورثات بالوراثة.

ويقول العلماء المورجانيون إن اختلاف الصبغيات (وبالتالى المورثات) الموجودة فى البويضة والنطفة هو الأساس الفيزيائى للاختلافات الوراثية الموجودة فى الأشخاص ذلك لأن البويضة البشرية حين تلقح يضاف إلى صبغياتها الأربع والعشرين أربع وعشرون صبغية تأتى بها النطفة الذكرية، وبالرغم من أن هذه المجموعة من الصبغيات تبدو متشابهة فإنها ـ فى الواقع ـ تختلف من بويضة إلى بويضة ومن كل أب، وتستمر عملية الانقسام الخلوى بسرعة معينة (تتوقف على نوع الكائن) حتى تظهر المكونات الجسمية الملائمة، وينمو الفرد ويتطور من نطفة إلى علقة ويزداد الاختلاف بازدياد تباعد مصدر النطفتين أو البويضتين.

وتتمازج الصبغيات الثمانى والأربعون (٢٤ من البويضة و ٢٤ من النطفة) فى نواة واحدة فإذا كان الناتج أنثى انتظمت الصبغيات الواردة من الأم والأب فى أربع وعشرين زوجا، أما إذا كان الناتج ذكراً فإن الصبغيات تنتظم فى ثلاثة وعشرين زوجا، والصبغيتان الباقيتان لا تتزاوجان.

وجدير بالذكر أن صبغيات المرأة من نوع واحد أما صبغيات الرجل فهى التى تكون واحدة منها مخالفة للباقية وحينئذ يكون الوليد ذكرا. (معنى هذا أن جنس المولود تحدده صبغيات الوالد، وأن الوالدة لا علاقة لها بهذا الأمر وفى هذا دليل واضح للرجال الذين يطلقون زوجاتهم لأنهن لا يلدن إلا البنات (انظر شكل رقم ٢).

ولقد صدقت الشاعرة العربية التى عاتبت زوجها الذى هجرها لأنها تلد بنات دون البنين فقالت:

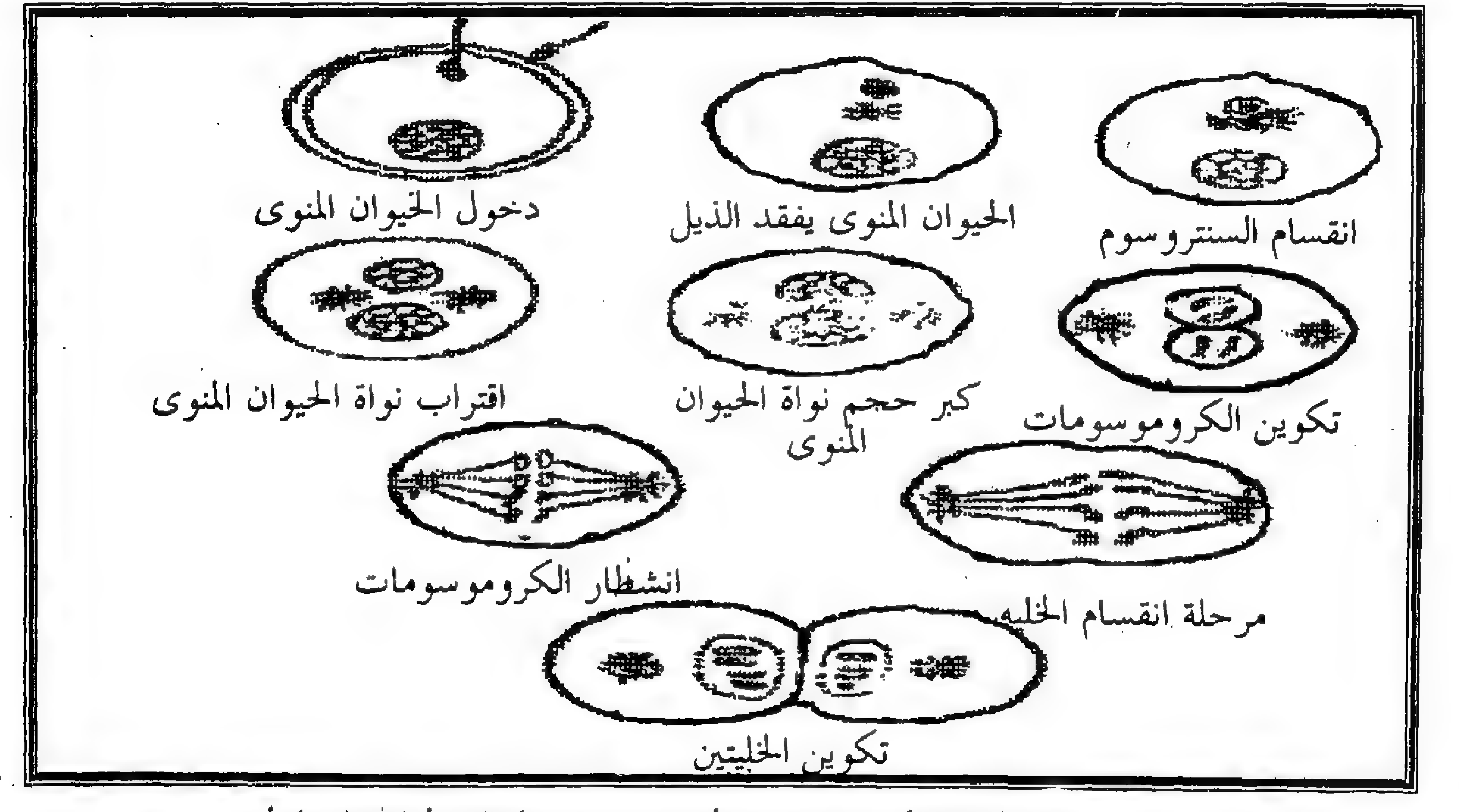
مالأبى حمزة لا يأتينا

وهو فى البيت الذى يلينا

يغضب إن لم نلد البنينا

وإنما نعطى الذى أعطينا

انظر شكل رقم (٢)



كما يوضح آلية Mechanism أو خطوات الإخصاب،تحوى أى بويضة مخصبة فى نواتها كل الصفات أو المحددات التى يمكن أن تنتقل إلى الكائن الجديد ويتبع اتحاد الخلية الجرثومية الذكرية والخلية الجرثومية الأنثوية عملية الانقسام أو التكاثر الخلوى، وخلال هذه العملية تستقبل كل خلية جديدة عدداً مساويا من الكروموسومات التى تحتويها البويضة الأنثوية بعد إخصابها من الحيوان المنوى الذكرى.

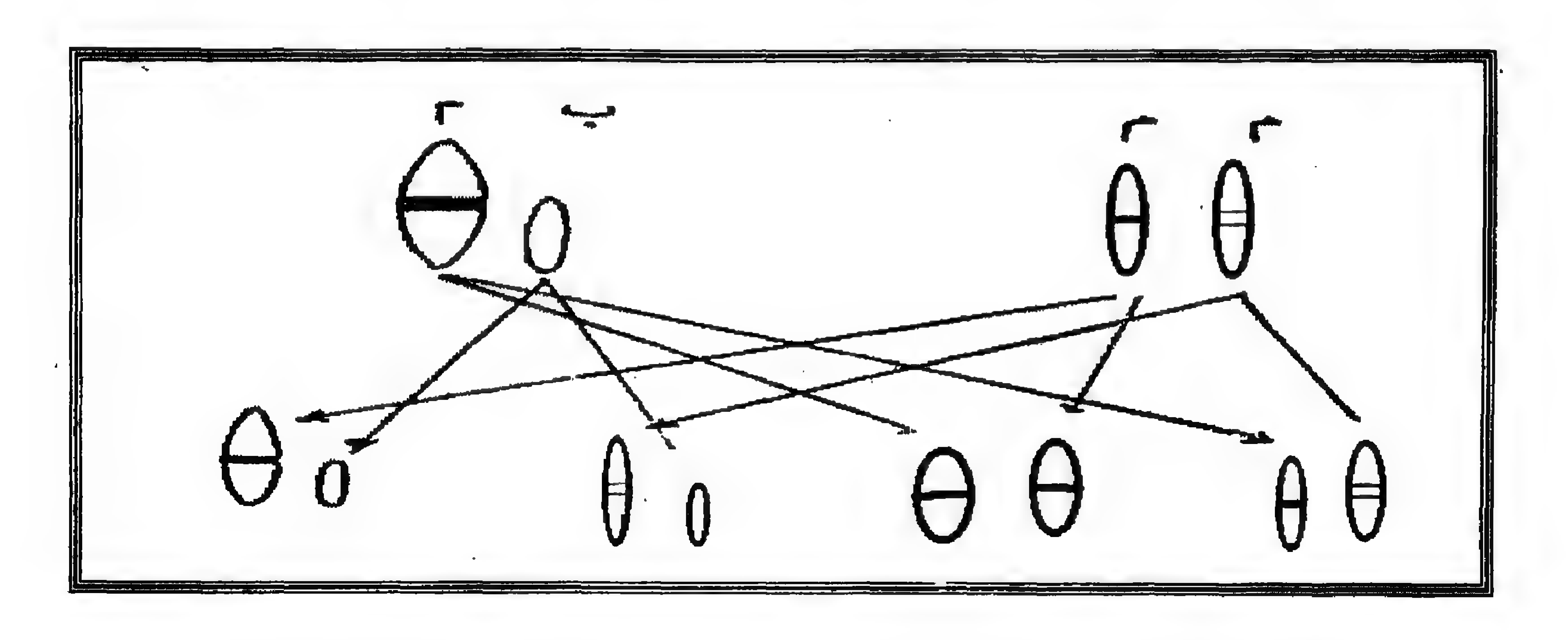
الطفل فى عالم مغلق:

خلال المرحلة الجنينية يتشكل الجنين فى ٩ شهور فى رحم الأم حيث تمر البويضة خلالها فى ثلاث دورات متميزة: تلقيح البويضة (من أربعة أيام إلى سبعة) ثم بداية تشكل الجنين وتنتهى بنهاية الأسابيع الثمانية الأولى من الحمل ثم مرحلة الجنين (وتستغرق الشهور الستة الباقية من الحمل). «ويتفق العلماء عى أن ما يحدث فى رحم الأم خلال فترة الحمل تكون له نتائج هامة على صحة الطفل العامة عند الولادة فضلا عن حالة الأم الصحية أثناء الحمل. وهكذا نجد أن إصابة الأم أثناء الحمل ببعض الأمراض الجسمية قد تؤدى إلى مشكلات دائمة تتعلق بالصحتين الجسمية والعقلية للطفل فيما بعد»[(١)].

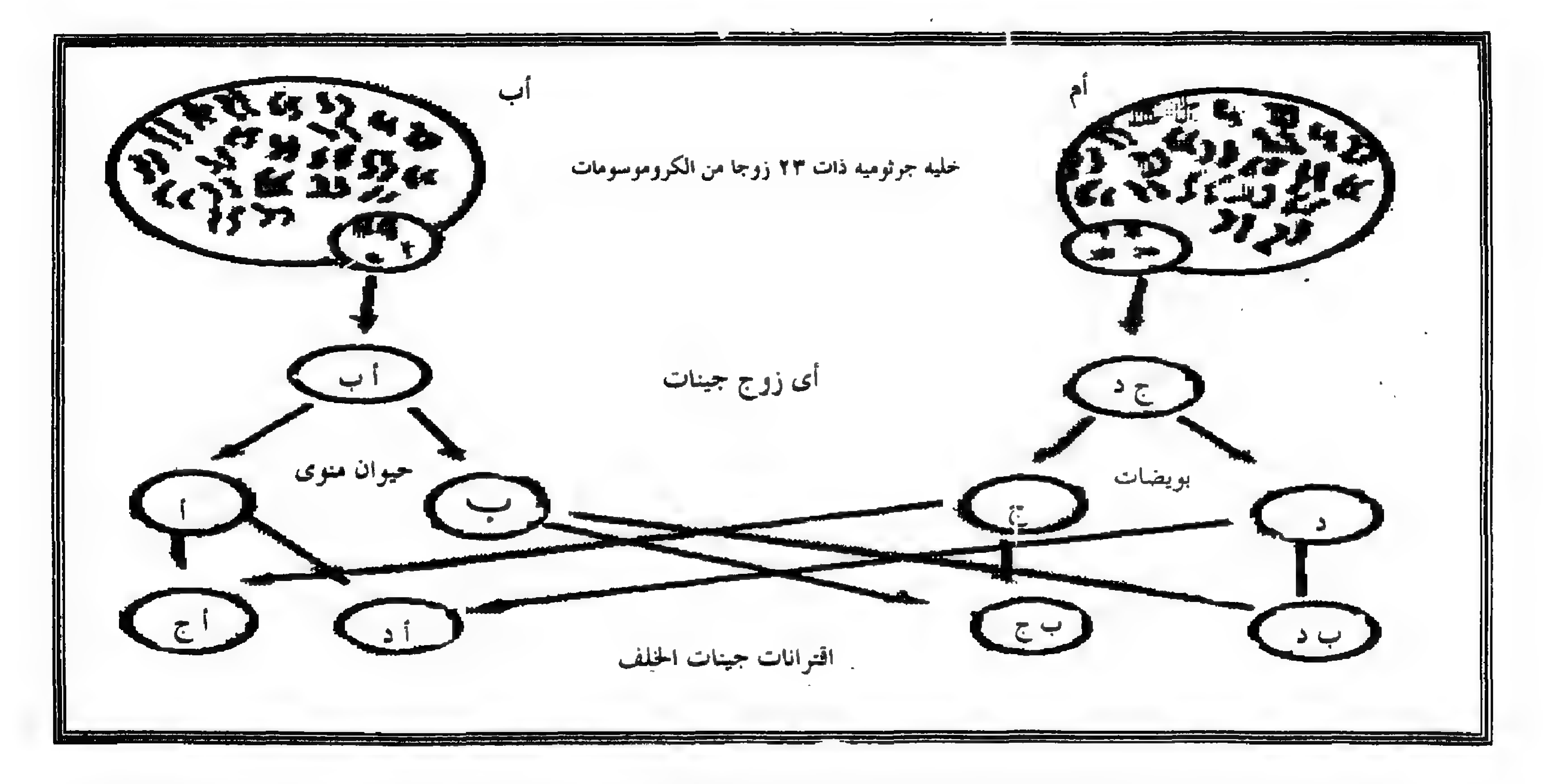
فمثلا إصابة الأم بالحمى الألمانية من شأنها أن تؤدى أحيانًا إلى تخلف الطفل العقلى أو العمى أو الصمم ولا يزال العلماء يدرسون الآثار التى يمكن أن تحدث للطفل نتيجة للتوتر والعسر اللذين تعانى منهما بعض الأمهات أثناء الحمل بسبب الإرهاق الشديد والصراعات التى يفرضها الانغماس فى أعمال كثيرة متعددة، وبالميلاد ينتقل الطفل من عالم الرحم إلى العالم الخارجى بمجموعة من الاستعدادات الذاتية أو الفطرية الحسية والعصبية التى تساعد على استمرار بقائه فى مرحلة المهد فى الشهور الأولى منها، فمنذ الساعات الأولى تصدر من الطفل جوانب من السلوك التلقائى منها مص الثدى أو الأشياء المماثلة إذا ما وضعت بالقرب من فمه.

ومن العوامل المؤثرة فى تكوين الطفل (وراثة الجينات ذلك أن الصفات الوراثية تنتقل إلى الفرد من والديه وأجداده وأسلافه وتتحدد الخصائص الوراثية عن طريق المورثات (الجينات) التى تحملها الصبغيات (الكروموسومات) التى تحتويها البويضة الأنثوية بعد إخصابها من الحيوان المنوى الذكرى. ومن الصفات

الوراثيــة الخـالصــة لون العـينين ولون الجلد ولون ونوع الشـعـر ونوع الدم أو (فصيلته) وهيئة الوجه ومعالمه وشكل الجسم[٢] إلخ من تلك الصفات الوراثية. انظر شكل رقم (٣).



شكل (٢) رسم تخطيطى يبين احتمال اختزانات الجينات فى الخلف من ازواج جينات الوالدين



شكل رقم ٣ يوضح اليه الاسهام الجنسى - لاحظ كيف ان الام تمد بالسمه الابناء والبنات كليهما ، اما الاب فلا يمد الا البنات

ناش - ١٩٧٠ - ص ٣١*

والثابت علما وعملا ان الطفل يتحدد جنسه - ذكرا او انثى - بالوراثه

المبحث الثانى

صحة الطفل من صحة الأم:

ثمة عوامل تؤثر فى تكوين الطفل وهو لايزال جنيناً فى بطن أمه، وبالتالى على صحته، ألا وهى عوامل البيئة المحيطة به فى مرحلة ما قبل الميلاد، ويطلق على تلك الظروف الناشئة عن البيئة أكثر من الوراثة (المؤثرات التخليقية Con-genital influences

ويمكن تلخيص هذه المؤثرات فيما يلى)[٣] :

١ـ سوء التغذية Molnutrition

يؤدى سوء تغذية الأم خلال فترة الحمل إلى حرمان الطفل النامى من العناصر الغذائية الضرورية وقد يؤدى هذا الحرمان إلى إعاقة سير النمو الطبيعى للطفل.

٢ـ المرض: Disease

تؤدى إصابة الأمهات الحوامل ببعض الأمراض الخطيرة مثل السكر، السرطان، السل الرئوى والبلاجرا وغيرها من الأمراض التى تؤثر تأثيراً سيئاً على الأجنة فى حالة إصابة الأم بسوء التغذية.

٣ـ العدوى:

تؤدى الأمراض المعدية ـ ومنها مرض الزهرى الذى يصيب الجهاز العصبى للأم إلى ضعف تخليقى في الجنين أو عدم استقراره، وتبدو الأم أحيانا فى حالة صحية طيبة بينما تكمن فيها ميكروبات تسبب الأذى للجنين.

٤ـ السموم: Toxins

وهذه قد يتأثر الطفل النامى بها عن طريق تسربها خلال جدر الأوعية الدموية إلى الحبل السرى.

٥ـ اضطراب الغدد الصماء Endocrine in balance

قد يؤدى إفراط إفراز الغدد الصماء أو نقصه لدى الأم إلى حدوث مضاعفات خطيرة للجنين ينتج عنها إعاقة النمو الجسمى والعقلى لديه. ومن المعروف أن حالة القزمية C retinism التى تتميز بالتخلف العام مع انخفاض الاستجابات الانفعالية والعقلية قد تنشأ عن نقص إفراز هرمون الثيروكسين.

٦ـ إصابات الولادة Birth injuries

وهذه قد يؤدى فيها استخدام أدوات الولادة والضغط على جمجمة الوليد الطرية أثناء المخاض والولادة إلى إيقاف النمو، أو البله، أو شلل المخ أو غيره من نواحى الإعاقة الأخرى.

٧ـ الصدمة الانفعالية: Emotional Shock

من الممكن أن تؤدى الصدمة الانفعالية الحادة إلى فرط إفراز هرمون الأدرينالين فى الدم الذى يصل إلى الجنين عن طريق الضغط الأسموزى.

نمو الطفل وأثر الآباء فيه:

النمو Development كما يقول اسكنر Eskinner عملية دينامية تنطوى على استمرار التوافق Adjustment الذى هو البحث عن الهدف فلما كانت الحياة بالنسبة للكائن الحى هى النمو، تنشأ التربية كعملية داخل عملية الحياة ذاتها لتؤدى إلى التوافق والتكيف بالبيئة. أما التعليم Learning فهو قيادة النمو وتوجيه التغير، وإن كانت مشكلته الأساسية هى محاولة الحصول على أحسن النتائج فيما يتعلق بالسلوك الاجتماعى والفردى بما يحفظ القيم الفردية ويوفر عنصرى الزمان والجهد(٤).

فمع أن دافع النمو ينبعث من قوى باطنة، ومع أن أنماطه محددة بالنسبة للأطفال جميعا، إلا أن معدل النمو ونمطه الصحيح يمكن أن يتغيرا إذا لم تواجه البيئة حاجات الطفل الأساسية كالتغذية والنشاط والراحة، وفرص التعليم، والأمن النفسى والعاطفى.. الخ لأن هذه الظروف هى التى ستحدد مدى من السرعة والتفتح الذى به تتحقق إمكانيات نمو الطفل،، فالنمو على هذا النحو عملية تتقدم من تلقاء ذاتها وإن تدخلنا بالعملية التربوية ــ كآباء وأمهات ــ إنما يكون لتهيئة هذه الظروف اللازمة لسواء النمو.

تصنيف لمراحل النمو عند ويلرد أولسن:

وإذا شئنا تصنيفاً لمراحل النمو يكون أكثر تفصيلا واتصالا بالنمو التربوى منه بنظرية التحليل النفسى، فهذا تصنيف ويلرد أولسن W. Olson فى كتابه نمو الطفل.Olson, Willarid, Child Development..op ــ حيث يقسم مراحل النمو كما يلى:

١ــ مرحلة ما قبل الولادة: ومتوسطها ٢٨٠ يوما (وإن كانت تتراوح بين ٢٥٠ و ٣٠٠ يوم) منذ بدء الحمل حتى لحظة الميلاد. وقد تحددت هذه

كمرحلة نمو بعد أن ازداد اهتمام علماء النفس بدراسة سلوك الطفل وهو جنين Fetal ـ ما الذى يتعلمه من الحركات والإحساسات التى تساعد على زيادة نموه وهو حمل لم يولد بعد.

٢ ـ الطفل حديث الولادة Neonate - newborn من الولادة حتى بعدها بأسبوعين.

٣ ـ الرضيع ومدتها السنة الأولى من حياة الطفل.

٤ ـ الطفولة المبكرة Early Childhood من سنة إلى ٦ سنوات.

٥ ـ الطفولة المتوسطة Middle Child من سن ٦ إلى ١٠

٦ ـ الطفولة المتأخرة Later Childhood من ١٠ إلى ١٣.

٧ـ ظاهرة البلوغ Puberty ومتوسطها للبنات ١٢ سنة وللأولاد ١٤ سنة مع تفاوت بين الأفراد حسب النمو الجسمى يتراوح مابين ١٢، ٢٠ شهرا كما سنرى.

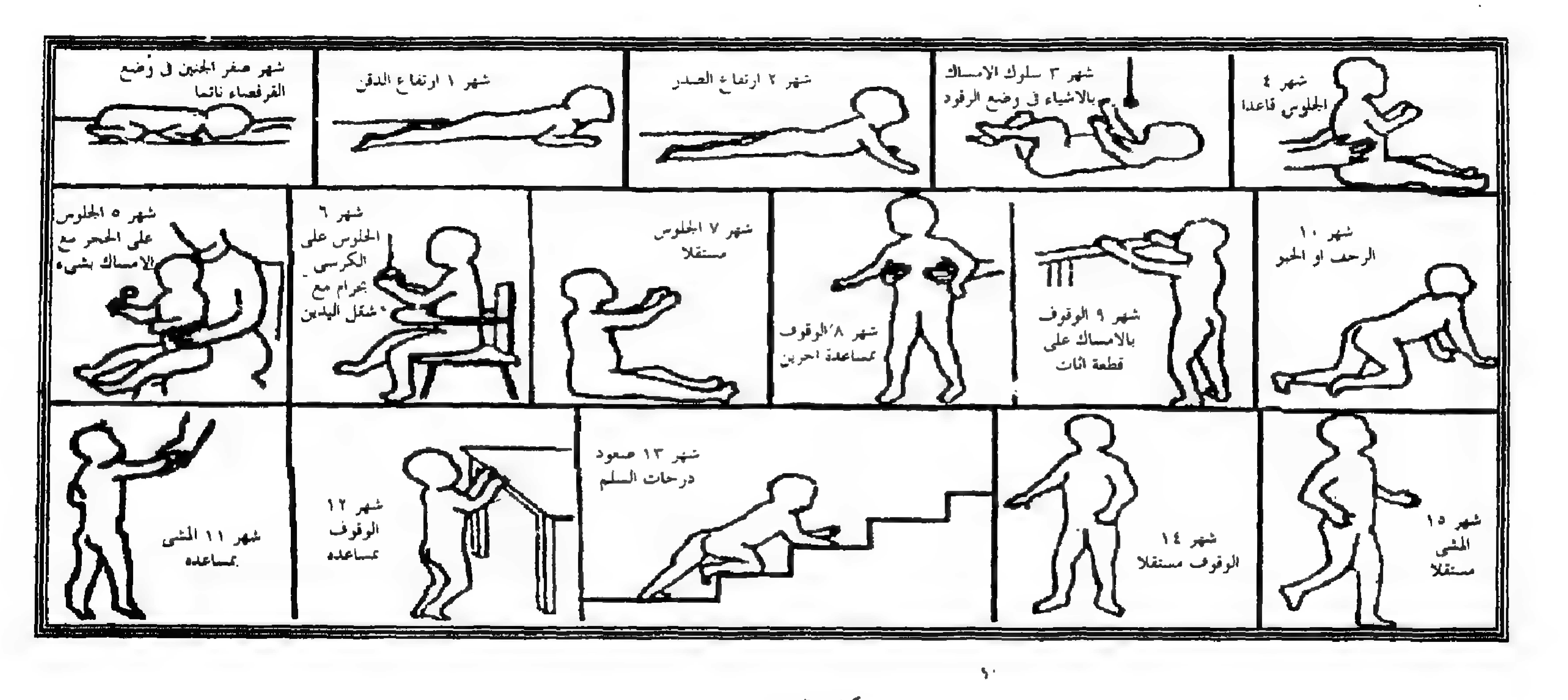
٨ ـ المراهقة الأولى Early Adolescence من سن ١٣ ـ ١٤ إلى ١٥ ـ ١٦.

٩ـ المراهقة الثانية Later Adolescence من ١٥ ـ ١٦ إلى ٢٠ سنة.

ومن ذلك أيضا (أن النمو الجسمى للطفل يكون سريعا، وهذا النمو يصحبه نمو هائل فى الجهاز العصبى ويكون ثدى الأم مصدراً للغذاء وللعواطف ويستجيب الطفل ـ من ثم ـ للمؤثرات الخارجية والداخلية استجابة فطرية. وقبيل الشهر التاسع تبدأ عملية التسنين ويمكن البدء فى عملية الفطام التدريجى[٥]. وبإمكانه أيضا ـ من الناحية الحسية ـ أن يتابع ببصره ضوءاً متحركا أو جسما ماديا، كما تبدأ عنده مراحل التآذر الحسى ـ الحركى التى تؤدى إلى الوقوف والحبو والمشى والكلام البسيط.. كل ذلك حوالى الشهر

الخامس عشر (*) . وتظهر ميول الانتماء مبكرة عند طفل تلك المرحلة فى الأيام الأولى من حياته، أى حوالى الشهر الثالث أو قبل ذلك بقليل، ومن ثم فهو يبدأ فى تمييز الأم والتعلق بها، ويظهر عليه الهدوء والسكينة عندما يشعر بقرب جسمها منه[٦] ولهذا فإن تنمية الإحساس بالقرب والتعلق بالوليد ووالديه أمر على درجة كبيرة من الحيوية فى هذه السن.

* انظر: الشكل رقم (٤) التطور الحسى الحركى، د. عبد الستار إبراهيم المرجع السابق، ص١٢٦.



شكل رقم (٤)

يصور التطور الحسي – الحركي المؤدى للمشى ويبين ان المشى ليس استجابه ميكانيكيه ولكنه سلوك يحتاج لمرحله طويله من النضج

صفوة القول

يبدأ وجود الإنسان باتحاد نطفة الذكر (الحيوان المنوى) مع بويضة الأنثى فى داخل الرحم، وتكون البويضة الملقحة (الزيجوت) التى تنقسم ويتتابع انقسامها ليتكون الجنين وينمو ويتكامل.. ويقول علماء المورجان إن اختلاف الصبغيات (وبالتالى المورثات) الموجودة فى البويضة والنطفة هو الأساس الفيزيائى للاختلافات الوراثية الموجودة فى الأشخاص أنفسهم.

ويتفق العلماء على أن ما يحدث فى رحم الأم خلال فترة الحمل تكون له نتائج هامة على صحة الطفل العامة عند الولادة. وثمة عوامل مهمة تؤثر فى تكوين الطفل وهو مايزال جنيناً فى بطن أمه وبالتالى على صحته ألا وهى عوامل البيئة المحيطة به فى مراحل ما قبل الميلاد، ويطلق عليها المؤثرات التخليقية والتى تتمثل فى: سوء التغذية، المرض، العدوى، السموم، عدم الاتزان فى إفرازات الغدد الصماء والذى يسبب بعض الإصابات كالبلاهة، والقزمية، وضعف النمو لدى الأطفال . وإصابات الولادة والصدمة الانفعالية. وبالنسبة للمشروبات الروحية كالكحول وتدخين التبغ بمختلف أنواعه ثبت علميا ـ وبما لا يدع مجالا للشك ـ أن لها تأثيرات خطيرة على صحة الجنين ولا سيما لدى الأم، ويزداد الأمر سوءا إذا كان الوالدان ممن يدمنون تعاطى تلك المشروبات.

نصائح طبية للأم من أجل صحة الطفل:

وبناء على ذلك تجدر الإشارة لبعض النصائح العلمية والطبية التى يجب على الأمهات الحوامل أن يراعينها ويتبعنها حرصا على صحة طفل المستقبل ومن تلك النصائح ما يلى:

١ـ يحذر العلماء الأمهات من استخدام العقاقير الطبية أثناء فترة الحمل لما لها من آثار سيئة على الصحة الجسمية والنفسية للطفل فيما بعد. وبالرغم من أنه لا يمكن القول بأن جميع العقاقير ضارة أثناء الحمل فإن هناك تحذيرات علمية بضرورة التوقف عن تعاطى العقاقير خاصة فى (الأسابيع الأولى من تكوين الجنين) بل إن بعض هذه العقاقير يؤدى إلى تشوهات خلقية للجنين نفسه وإن كان يتضاءل خطر العقاقير ـ كما يقول البعض ـ بعد الشهر الخامس وينطبق هذا التحذير أيضا على التدخين وتعاطى الخمور.

٢ـ على الزوجة أن تستعد قبل فترة الحمل بالتعود على ممارسة الحياة الرياضية البدنية اليومية، وأن تتابع بعض التمرينات الرياضية الملائمة أثناء الحمل بما يقوى من عضلات الأم ويساعدها كثيراً فى حالة الوضع (الولادة) ومن الثابت أن رياضة المشى من التمارين الجيدة المفيدة لا سيما فى أشهر الحمل الأخيرة عندما لايمكن القيام بتمارين رياضية أخرى، ومن التمارين المفيدة للحامل الاستلقاء على الظهر ورفع ساق واحدة مستقيمة ثم الأخرى بالتناوب لتكون الساق مع باقى الجسم زاوية قائمة (أى ٩٠ درجة) وتكون الفائدة أكبر إذا رفعت الساقين مستقيمتين معا فى وقت واحد.

٣ـ كذلك يجب على الزوجة الحامل أن تتحرى سبل الراحة الجسمانية وأن تتجنب الإجهاد بقدر ما تستطيع أن تفعل.

٤ـ كما يجب عليها الإكثار من مرات الاستحمام ويفضل الاستحمام بالماء الفاتر فلكل من الماء البارد والساخن آثار ضارة فى المدى البعيد على صحته فى

تلك الفترة. ويجب كذلك أن تراعى الجلوس أثناء الحمامات بعد الشهر الثامن من الحمل خوفا من وصول الميكروبات إليها.

٥ـ ولأشهر الحمل الأخيرة أهمية خاصة ففى الأشهر الأربعة الأخيرة يجب أن يتبع الحوامل تدليك الفخذين وأسفل البطن بالزيت الساخن لزيادة المرونة فى العضلات كما يجب توجيه نفس العناية للثديين فتدهن الحلمتان بمزيج من الكحول وحامض البوريك بنسبة متساوية، ويترك هذا المزيج على الحلمة لينشف مدة خمس دقائق ثم يدهن الثديان والحلمتان جيداً بزيت الزيتون المسخن (الدافئ). وتتجلى لنا فائدة ذلك فى أنه يمنع تشقق الحلمتين عند رضاعة الطفل(٧).

٦ـ طول فترة الحمل يجب قياس سعة الحوض وإجراء التحاليل الطبية على البول بانتظام وقياس ضغط الدم وغير ذلك من الفحوص الطبية اللازمة. وكتوجيه عام يجب الحرص فى النظام الغذائى لدى المرأة الحامل على توفر الفاكهة والخضر واللبن والحبوب الكاملة، ويلى ذلك فى الأهمية أنواع أخرى مثل: الجوز والزيتون والعسل النحل والتمر، والزبيب، والزبد البلدى لتوليد الطاقة الحرارية للجسم.

٧ـ وبالنسبة للمشروبات الروحية كالكحول وتدخين التبغ ـ بمختلف أنواعه ـ فقد ثبت علميا وبالدليل القاطع أن ثمة تأثيراً من قبل المشروبات الكحولية التى يتناولها الأب أو الأم إلى حد الإدمان لما تسببه من تأثيراً على خلايا التناسل فيكون الجنين معرضا للنقص فى جهازه العصبى، وقد تظهر عليه أعراض النقص فى قواه العقلية والعصبية.

ويقول د. ج هاردى D.G.Hardy كلارك «إنه لمن الحقائق المقررة أن أى سم من سموم التبغ قياسا على السموم الأخرى قد يضعف حيوية المدخن ونشاطه ويغير حالة البلازما فى خلايا التناسل الجرثومية الأصلية فى الرجل والمرأة»[٨] .

نخلص من ذلك إلى ملاحظة هامة تكمن فى أن مراعاة الأمهات الحوامل تلك النصائح العلمية الطبية المهمة ومحافظتهن عليها والتزامهن بها، ليس ثمة شك فى أنه يعود على أطفالهن بالصحة الجيدة، كما يوفر لهم الحماية اللازمة عند خروجهم من عالمهم (المغلق) إلى هذا العالم المفتوح. وهذا ما جعلنا نذهب فى صدر هذا الفصل إلى القول بأن «صحة الطفل من صحة الأم» .

الخلاصة

يجب على الأم أو على المربية فى هذه المرحلة من حياة الطفل أن تعمل على تعويد وليدها منذ ولادته على رضاعة الثدى وأن تأخذه أيضا بالتعود على الرضاعة بوسائل أخرى صناعية ـ إذا اقتضت الضرورة ذلك ـ كالملعقة، «والبزازة»[٩]. وأن تعمل على تنظيم الوظائف العضوية وأن تشغل يدى الطفل بأشياء أخرى عند محاولته تناول أى عضو من أعضائه للعب بها. وتبين الدراسات أن الانفصال المفاجئ للطفل فى هذه السن عن المنبهات التى تشجع فيه إحساس القرب والانتماء الجسمى تكون له نتائج خطيرة منها، التخلف، وربما الموت. وثمة ملاحظة فيما يتعلق بتفكير الطفل فى السنة الأولى هى أنه يبدو عاجزاً عن الفصل بينه وبين العالم، وإن كان ينتقل تفكيره بعد الشهور الثمانية الأولى من العمر وبمطلع العام الثانى إلى مرحلة أكثر وعيا ونشاطا فهو يعى أن الأشياء يمكن أن توجد منفصلة عن ذاته ومستقلة عنها.

وفى تطور آخر فى هذه المرحلة يتعلق بالسلوك الاجتماعى والعلاقة بالآخرين ويرتبط الكشف عن مظاهر التطور فى هذه الخاصية بدراسات ايركسون Erikson الذى يرى أن التطور النفسى الاجتماعى يبدأ مبكراً فى حياة الطفل ويأخذ فى البداية شكل الصراع بين الثقة وعدم الثقة فى العالم، فإشباع حاجات الطفل الرئيسية فى هذه المرحلة بما فى ذلك حاجته للأمن والراحة والغذاء يؤدى إلى انبثاق مشاعر الثقة بالعالم والبيئة على أنه من الممكن أن تتكون مشاعر مضادة قائمة على الشك والخوف وعدم اليقين فى العالم إن كانت احتياجات الطفل فى هذه المرحلة دائما تواجه بالإحباط والتهديد والكف(١٠).

وهكذا نستطيع أن نتبين الملامح العامة لتطور شخصية الطفل ـ أو نموه فى مرحلة (الميلاد) ـ حيث نجد أن الطفل يستطيع منذ الأيام الأولى أن يميز بين الأشكال الحقيقية والصور الفوتوغرافية لهذه الأشكال فقد يمد يده عندما يرى قطة ـ مثلاً ـ ولكنه لا يصدر نفس الاستجابة عندما نعرض له الصورة الفوتوغرافية لنفس القطة ولو كانت بنفس الحجم الطبيعى، وفى ذلك ما يدل على أن الأطفال يولدون باستعداد يمكنهم من معرفة الأشياء والأحجام المتباينة الأبعاد.

أما الظروف الخارجية فمثالها ما نرى من أطفال لم تتح لهم التغذية الكافية أثناء سنى نموهم، فلم يستطيعوا أن يتمتعوا بصحة جيدة والعكس فى الظروف الداخلية للنمو: أطفال البيئات الغنية والأسر الراقية الذين تكون شخصياتهم محطمة لأسباب سيكولوجية كالحرمان من العاطفة أو الحماية الزائدة Over Pro- tection أو عدم الاستقرار أو سوء الخلق، وليس ثمة شك أن هذه الظروف البيئية غير ملائمة لنمو الأبناء داخل أسرهم ومحيطهم الاجتماعى، على أن ردود الفعل الانفعالية للأبناء من تلك المرحلة الأولى من التنشئة الاجتماعية ينبغى أن

تستحق الانتباه الجاد من جانب الآباء والأمهات على السواء فى أى أمر يتعلق بمشكلات تنمية الأطفال التنمية الصحية اللازمة، وإذا كان الاعتقاد الشائع أن الانفعالات أساسية فى دفع السلوك فمن الواجب على (الأسرة) فهم طبيعتها وأصولها لتصبح أكثر فائدة فى خدمة المجتمع وذلك من وجهة النظر التربوية والنفسية بصورة خاصة.

ونحن نعمد إلى إبراز هذه الحقائق فى معرض دراسة نمو الطفل فى تلك المرحلة ونكرر بين الحين والحين إبرازها، حتى يتنبه المربون آباء وأمهات إلى أنهم يتعاملون ـ وكما يقول فريمن وكونكلن ـ مع أفرادهم فى حالة نمو جسمى ونفسى متصل ودائم التغير؛ ولذا فإنه يجب أن ينظروا إلى سلوك الأطفال على نحو ديناميكى (حركى) لا استاتيكى (أى جامد).

مراجع الفصل الثالث

١ ـ فاخر عاقل (دكتور): طبائع البشر، دراسات نفسية واجتماعية، كتاب (العربى) يناير ١٩٨٥م، ص٦٢..

٢ ـ عبد الستار إبراهيم (دكتور): الإنسان وعلم النفس، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ـ «عالم المعرفة» ١٩٨٥م ص١٢٤ـ١٢٥.

٣ ـ عبد العزيز القوصى و (آخرون) (دكتور): الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية ١٩٧٧/٧٦م، ص ٦٤ـ ٦٥.

٤ ـ فاروق عبد الفتاح (دكتور): علم النفس التربوى، دار الثقافة للطباعة، القاهرة ١٩٨١م، ص٦٧ـ٦٨..

٥ ـ نشأت المصرى، رسالة بعنوان: كيف تستقبلين مولودك الجديد؟ مكتبة القرآن الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ص٢١..

٦ ـ الرسالة السابقة، ص٢٢..

٧ ـ كمال دسوقى (دكتور): النمو التربوى للطفل والمراهق ـ دروس فى علم النفس الارتقائى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ص١٢..

٨ ـ صالح عبد العزيز: التربية الحديثة ـ مادتها ـ مبادئها ـ تطبيقاتها العلمية الجزء الثالث، دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة السادسة، ص١٥٩.

٩ ـ عبد الستار إبراهيم: المرجع السابق، ص١٢٨.، وصفحة ١٥٩، ١٣٠

١٠ ـ كمال دسوقى: المرجع السابق، ص٣٠.

الفصل الرابع

تكوين الطفل فى المرحلة الثانية

المبحث الأول

من السنة الأولى حتى السنة السادسة

تمهيد:

مما لاشك فيه أن معرفة الأسس العامة لخصائص النمو فى تلك المرحلة مما يجعل الآباء والمربين على بصيرة بما يتوقع وما لايتوقع من نواحى نمو الطفل وسلوكه كما أنها تمكنهم من مقارنة نمو طفل معين بالمستوى العام للأطفال فى مثل سنه.

وقد وضع أحد الباحثين فى هذا المجال صورا عامة للنمو عند الأطفال العاديين من الميلاد حتى سن العاشرة ووضع قوائم النمو المتصلة بالنشاط الحركى واللغوى والاجتماعى ونواحى التكيف الأخرى، وتتجلى أهمية هذا التقسيم Classifcation فى تقديم التشخيص النفسى لمشكلات الأطفال المختلفة لاسيما في تلك المرحلة، بالإضافة إلى أنه يتحدد على أساسه تنظيم الأدوار المتعلقة بالآباء فى كل مرحلة على حدة وأثرهم فيما يتعلق بالجوانب النفسية والتربوية على الأبناء من خلال تلك الأدوار المختلفة فى تنشئتهم تربوياً ونفسياً.

وفيما يلى بيان الخصائص العامة للنمو فى تلك المرحلة، وأثر الآباء فيها: من السنة الأولى وحتى السنة السادسة.

١ ـ النمو الجسمى Physical Development

إن الطفل خلال السنة الأولى يزداد وزنه إلى ثلاثة أضعاف ماكان عليه عند الولادة، أما خلال السنة الثانية فيبدو النمو الجسمى أبطأ مما كان عليه فى السنة الأولى، ولما كان نمو الطفل فى السنتين الأوليين ـ نظرا لسرعته يعرضه ـ لأنواع مختلفة من الأمراض مثل: لين العظام، السعال الديكى، الحصبة الألمانية، وأمراض الجهاز الهضمى، والعيون، لذا كان لابد من العناية بالأطفال (الأبناء) ورعايتهم فى هذه الفترة الهامة من عمرهم

على أن مرحلة الطفولة هى المرحلة التى توضع فيها أسس العمليات الفسيولوجية، كالتغذية والنوم والإخراج، وترتبط هذه العمليات بتكوين عادات معينة يتأثر بها سلوك الطفل واستجاباته.

ومن ثم نتناول الآن بشيء من التفصيل بيان الأسلوب الأمثل فى «تغذية الطفل وفطامه» وما يتعلق بذلك من تغذيته بلبن الأم، وأهمية إرضاعه هذا اللبن بالذات، ثم لجوء الأمهات إلى ما يعرف بالتغذية المختلطة ومتى وكيف يمكن للأمهات فطام أطفالهن؟ ومدى ارتباط ذلك بالعملية الفسيولوجية والسيكولوجية التى يمر بها الأبناء فى هذه المرحلة من أعمارهم؟ ونختم ذلك بتقديم نموذج طبى ـ علمى وعملى ـ لتغذية الأبناء ابتداء من الولادة وحتى مرحلة الفطام وإتمامها، على النحو التالى:

أولا: إرضاع الطفل:

يمكن للأم إرضاع طفلها بعد مضى ١٢ساعة من الولادة، فقبل ذلك ينام الطفل عادة معظم الوقت وتكون الأم منهوكة القوى عقب حالة الوضع، ولا ضرر من الانتظار مدة ٢٤ ساعة، اذا كان الطفل هادئا قليل الصراخ(*).

* رجعنا فى هذا الموضوع «تغذية الطفل وفطامه» إلى كتاب حياة الطفل للدكتور مصطفى الديوانى ـ الطبعة الحادية عشرة ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٨٤ (الباب الثامن)، ص٦٢ ـ ٦٣، ص٩٣ ـ ٩٩.

ـ وكتاب د. فؤاد البحيرى

Manual of pedlatrics, brfouad A. Behairy Publisher university, Bookcentre Cairo (1982) P.P 45 - 47.

وتبدو أهمية إرضاع الأم للطفل لبنها عقب الولادة، لأنه بعد الوضع تفرز الأم من ثديها سائلا اسمه اللّبأ أو السرسوب (الكولوسترم) وهو الغذاء الوحيد للطفل ويجب أن يتناوله، وإن كان اللبن الحقيقى لا يفرز من ثدى الأم قبل اليوم الثالث أو الرابع.

وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة أن يرضع الطفل ثدى أمه من البداية كل ٣ ساعات وذلك ابتداء من الساعة التاسعة مساء، فيكون عدد الرضعات ستا، وتعطى الأم الطفل ثدييها الواحد بعد الآخر، وتكون المدة لكل منهما خمس دقائق تزداد تدريجيا بعد اليوم الثالث أو الرابع عندما يفرز اللبن الحقيقى إلى عشر دقائق لكل ثدى.

وترجع الحكمة فى جعل الفترة بين الرضاعة ثلاث ساعات إلى أن معدة الطفل تهضم اللبن، وتكون خالية بعد ساعتين أو ساعتين ونصف، ولذلك يجب أن تتركها وقتا لتستريح من عملية الهضم قبل أن تبدأ فى هضم الرضعة التالية.

ويجب على الأم أن توقظ طفلها بلطف فى ميعاد الرضاعة وبذلك يتعود الاستيقاظ من تلقاء نفسه، فإذا نام أثناء الرضاعة فعلى الأم تنبيهه بأن تداعب خده أو ذقنه بلطف حتى يستيقظ.

ثمة احتياطات على الأم أن تراعيها عقب إرضاعها لطفلها مباشرة حتى تمنع حدوث القىء.. من ذلك أن تحمل الطفل عموديا فتسند رأسه على كتفها أو تجلسه على ركبتيها وتربت (تطبطب) على ظهره بلطف حتى يتكرع. وألا تهزه (تهشكه) بل تضعه برفق فى سريره فى هدوء تام حتى ينام.

أما بالنسبة لمميزات إرضاع الطفل من لبن الأم فيمكن ردها إلى أنه مغذ ودافىء وبعيد عن التلوث من البيئة المحيطة للطفل، لكونه يصل من ثدى الأم إلى فم الطفل مباشرة، وسهل الهضم، وموجود فى ثدى الأم بالنسبة للطفل

عند اللزوم، بالإضافة إلى احتوائه على أنسب درجة حرارة يحتاجها الطفل طوال فترة الرضاعة (صيفا وشتاء)، كما أنه يقلل من أخطار نزيف ما بعد الولادة بالنسبة للأم في حالة نزوله في ثديها.

ومن أهم المميزات التي يتفرد بها لبن الأم أنه يقوى الرابطة العاطفية من الحب والحنان بين الأم ووليدها مما يجعل الطفل شديد الميل والارتباط بأمه أو مرضعته باستمرار.

ثانيا: التغذية المختلطة(*):

وهي عبارة عن الجمع بين التغذية من الثدى والتغذية بلبن حيواني وهي نوعان:

تكميلية:

وفيها تكمل كل رضعة من الثدى بلبن خارجي لكي يشبع الطفل وهي طريقة مفيدة جدا، إذ أن مواظبة الطفل على امتصاص الثديين ينبه إفراز اللبن الذي قد يزيد في مدة تتراوح بين أسبوعين وأربعة أسابيع وبذلك تستغنى الأم عن اللبن الخارجي تدريجيا، وعلى الأم أن تلاحظ النقاط التالية:

(أ) - يترك الطفل على كل ثدى مدة لا تتجاوز الخمس دقائق لأنه إذا رضع من ثدى فارغ من اللبن سبب له ذلك ابتلاع مقدار كبير من الهواء.

(ب) - يعطى الغذاء التكميلي بعد الرضعة لا قبلها.

(ج) - يجب ألا يكون الغذاء التكميلي كثير الحلاوة حتى لا يفضله الطفل عن لبن الأم، ومن ثم يرفض الرضاعة من الثديين، لذلك يجب على الأمهات اللائي يرضعن أطفالهن تجنب الألبان المكثفة المسكرة.

---

* د. مصطفى الديواني، المرجع السابق، ص٩٣ وما بعدها.

أما النوع الثانى من التغذية المختلطة، فهو:

التغذية الإبدالية:

ولها أضرار ومزايا، فمن أضرارها أن الإقلال من رضاعة الثدى يقلل من إفراز اللبن تدريجيا، وقد يؤدى هذا إلى انقطاعه كلية، ومن مزاياها أنها تمكن الأم من النوم مدة أطول اذا استبدلت رضعة الصباح والمساء، وعهدت إلى المربية بمهمة إعطاء اللبن للطفل، وإذا كانت موظفة تقضى نهارها فى محل عملها فإنها يمكنها إرضاع طفلها أثناء النهار بلبن خارجى،.وترضعه من ثدييها فى الصباح والمساء.

ثالثا: فطام الطفل.. متى وكيف؟

يقصد بفطام الطفل توقف الأم أو المرضعة عن إرضاعه من الثدى وإبدال ذلك بإعطائه وجبات غذائية أخرى، ابتداء من الشهر السادس..والعلة فى ذلك ترجع إلى أن لبن الأم يصبح ـ عند بلوغ الطفل سن ستة أشهر غير كاف لعدم كفاية كمية الحديد الموجودة به للطفل،والمهم ألا يكون الفطام مبكرا ـ أى قبل تمام السنة الأولى من عمر الطفل ـ وألا يكون فى نفس الوقت متأخرا عن السنة والنصف. (١٨ شهراً).. وياحبذا لو استمرت الأم فى تغذية طفلها من ثديها مرة واحدة فى المساء طول تلك الفترة بحيث يكون خلالها تدرج فى تناول أغذية أخرى تحل محل بقية الرضعات.

وتجدر الإشارة إلى أن محافظة الأم على أن يكون فى ثديها لبن يمكنها الاستعانة به فى أحوال طارئة كالنزلات المعوية فيه ضمان على أن يجتاز الطفل مرحلة الخطر أكثر مما لو حرم من لبن أمه كلية.

وقد أمكن لنا ملاحظة أن الفطام قد يكون إجبارياً (أو مبكرا) وقد يكون طبيعيا، وهو ما أسماه البعض بالفطام (المبكر) والفطام الطبيعى للطفل.

وبالنسبة للنوع الأول من الفطام يلجأ إليه فى حالات: أمراض الأم الحادة المعدية مثل: التيفود، الالتهاب الرئوى، حمى النفاس... الخ وأمراض الأم المنهكة، كالسل، التهاب الكلى، التهاب الكبد المزمن، أمراض القلب، فقر الدم الشديد، البول السكرى، والجوتر(*) والإكلمبسيا(**).

وكذلك أمراض الثدى مثل التشققات والخراريج التى تصيب الثدى. وإذا حملت الأم يتوقف فطام الطفل من عدمه على أمور منها: اذا كانت صحة الأم والطفل جيدة يمكن استمرار الرضاعة لغاية الشهر السادس أو السابع من الحمل. وإذا كان ضعيفا أو كان الجوحارا فيجب الاستمرار فى الرضاعة إلى أقصى وقت ممكن مادامت حالة الطفل ونموه يشجعان على ذلك. أما إذا كانت الأم ضعيفة ولبنها غير كافٍ لتغذية الطفل فيمكن بدء الفطام فى الشهر الرابع أو الخامس.

وأما بالنسبة للنوع الثانى من الفطام، وهو الفطام الطبيعى فقد اختلف العلماء فى تحديد الوقت الذى يجب أن يفطم فيه الطفل من ثدى أمه أو مرضعته فطاما كليا.. فبعضهم ينصح بتأخير الفطام إلى سنة ونصف والبعض الآخر يأخذ بالسنتين كما جاء فى كتاب الله عز وجل حيث قال «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة (الآية ٢٣٣/ البقرة).

(*) وهو ورم فى وسط الرقبة ناتج عن تضخم الغدة الدرقية وقد لا يتسبب عنه أى أعراض، أما إذا أجهدت الأم نفسها بارضاع طفلها فينعكس الأمر وتصحبه أعراض شديدة.

(**) والإكلمبسيا: هو مرض شديد الخطورة يحدث فى الأشهر الأخيرة من الحمل، ويكون مصحوبا بزلال فى البول وتشنجات تعقبها غيبوبة. وإذا لم تعالج المريضة بعناية كبيرة تعرضت حياتها للخطر، فإذا واظبت الحامل على زيارة طبيبها أمكنه إدراك الخطر قبل استفحاله، لأن لهذا المرض علامات خاصة تنبئ بقرب وقوعه وهى أن خفيت على الأم لا تخفى على الطبيب. (عن الدكتور مصطفى الديوانى ـ حياة الطفل، المرجع السابق، ص٩).

وفي قوله تعالى «وحمله وفصاله ثلاثون شهرا أى أن تكون مدة الرضاعة ٢١ شهرا(الآية ١٥/ الأحقاف).

ويعلق د. مصطفى الديوانى على ذلك فيقول: «والواقع أن الأم القوية البنية الهادئة البال ـ كفلاحة القرية مثلا ـ يمكنها إرضاع طفلها مدة سنتين أو أكثر بلا تعب. ولكن الأم العصرية فى الوقت الحاضر لا يمكنها أن ترضع طفلها أكثر من سنة، إما عن كسل وملل، وإما لقلة إفراز اللبن الذى يحدث عادة فى أواخر السنة الأولى».(*) .

وتجدر الإشارة إلى أنه فى بدء حالة الفطام كثيراً ما يصاب الطفل بمغص أو إسهال وذلك نتيجة الإكثار من المواد النشوية كالأرز والمهلبية والشعرية والمكرونة والبطاطس. وقد يؤدى الإكثار من هذه النشويات وخاصة إذا أضيف إليها الكثير من ملح الطعام إلى حدوث ورم فى عموم الجسم ينتهى بسرعة إذا قللنا منها. فعلى الأم ألا تعطى طفلها إلا القدر المعقول الذى يأمر به الطبيب.

ويحدث أيضاً أن يرفض الطفل أى غذاء آخر خلاف لبن الثدى، وقد يمتنع بتاتا عن الأكل مهما حاولنا أن نؤثر عليه، وهنا ينصح الدكتور الديوانى الأم بألا تلح على طفلها بشدة، فإن كثرة الإلحاح تولد فيه روحا عكسية تجعله يزيد من تشبثه وعناده «والطريقة المثلى هى أن تعرض عليه الأكل بسياسة ولطف وتدريجياً بحيث يعتاد عليه، ويعتقد أنه جزء متمم لغذائه اليومى، فتعطيه المهلبية فى أول الأمر خفيفة بحيث يمكن للطفل أن يشربها فى زجاجة اللبن، ثم تثخن تدريجيا حتى يأخذها بالملعقة، وكذلك الحال مع شوربة الخضر)(**) .

(*) حياة الطفل، المرجع السابق، ص٩٥.

(**) المرجع نفسه، للدكتور مصطفى الديوانى، ص١٠٣.

أما الأم فيجب عليها فى مدة الفطام أن تقلل من الأكل والشراب وتلف صدرها برباط ضاغط عند الثديين، وبذلك يقل إفراز اللبن تدريجيا ويمكنها أن تستشير أخصائى الولادة لإعطائها بعض الحقن الخاصة بإيقاف إفراز اللبن من ثدييها.

ومن ناحية أخرى يجب أن يكون الفطام تدريجياً حتى لو كانت سن الطفل كبيرة فمثلاً نستبدل لبناً خارجياً برضاعة طبيعية، ثم ننتظر شهراً آخر حتى ما وجدنا أن الطفل قد تعود عليها دون أى انحراف أو قىء أو إسهال، نقلل من عدد مرات الرضاعة الطبيعية.

وهكذا.. على أن تكون الفترة التى تمضى بين استبدال الرضعات شهرا، بحيث يأخذ الطفل معها أغذية أخرى بقية اليوم وهذا زيادة فى الحيطة، ولكل أم الحرية فى اختيار الطريقة التى تناسبها أكثر من غيرها.

ولكى ينفر الطفل من الثدى فى أيام الفطام الأخيرة يمكن وضع مادة مرة على الحلمة مثل الصبار أو المر أو نبعد الطفل عن المنزل قرب الوقت الذى تعود فيه الرضاعة من ثدى الأم أو مرضعته وهكذا.

نموذج غذاء الأطفال ابتداء من الولادة حتى تمام الفطام:

وفيما يلى (نموذج) لغذاء الأطفال منذ بداية الولادة وحتى الفطام على النحو التالى:

الشهور الخمسة الأولى: رضاعة من الثدى كل ٣ ساعات، وملعقة شاى من عصير الفاكهة مضاف إليها قليل من الماء قبل إحدى الرضعات بساعة.

الشهر السادس: تستبدل المهلبية برضعة الساعة الثانية عشرة ظهرا وتكون فى أول الأمر خفيفة ثم تزاد ثخانتها بالتدريج.

الشـهـر السـابع: يعطى الطفل شوربة خضروات مصفاة بدل رضعة الساعة الثانية عشرة، ومهلبية بدل رضعة الساعة السادسة مساء.

الشهران الثامن والتاسع: مثل الشهر السابع إلا أن شوربة الخضروات تكون أكثر ثخانة وذلك بدهك الخضروات جيدا حين تصفيتها.

من الشهر العاشر إلى الثانى عشر:

تزداد الفترة بين الأكلات إلى أربع ساعات فيكون عددها خمسا بدل ست، ويكون نظام التغذية كالآتى:

ـ الساعة ٦ صباحا: رضاعة الأم

ـ الساعة ١٠ صباحا: مهلبية

ـ الساعة ٢ بعد الظهر:

١ـ شوربة خضروات ثخينة

٢ـ بطاطس بورية

٣ ـ فاكهة ناضجة مثل الموز

والكمثرى الطرية أو التفاح المبشور أو المطبوخ

ـ الساعة ٦ مساء: مهلبية ثم قطعة من البسكويت

ـ الساعة ١٠ مساء: رضاعة من الأم

من الشهر الثانى عشر إلى الثامن عشر:

الساعة ٨ صباحا:

١ ـ صفار بيضة يوما بعد يوم

٢ ـ شاى ولبن (كوب ٢٥٠ جراما)

٣ ـ جبن حلو أو قطعة من البسكويت أو (البقسماط) عليها قليل من الزبدة والعسل أو المربى.

٤ ـ فول مدمس مقشور ومدهوك بالزبدة أو الزيت

الساعة ١٢ ظهرا:

١ ـ شوربة خضروات أو طيور أو لحوم مثخنة بالأرز أو الشعرية أو المكرونة

٢ ـ كبد طيور (فراخ أو حمام أو أرانب) أو لحوم بيضاء مفرومة

٣ ـ فاكهة ناضجة كالموز والكمثرى أو مطبوخة كالتفاح المطبوخ

٤ ـ يمكن أيضا إعطاء الخضروات المدهوكة كالبطاطس والبسلة والقلقاس واللوبيا.

الساعة ٤ بعد الظهر:

١ ـ مهلبية أو شاى ولبن

٢ ـ قطعة من البسكويت ومربى

٣ ـ موزة ناضجة مرتين فى الأسبوع

الساعة ٨ مساء: رضاعة من الأم وعصير فاكهة أو لبن حليب أو لبن زبادى

من الشهر الثامن إلى تمام السنتين: مثل السابق مع إضافة لحوم حمراء أو سمك فى وجبة الثامنة مساء وتعطى بدلها شوربة طيور بالخضروات وفاكهة

ناضجة أو مطبوخة كما فى وجبة الغذاء. وفيما يلى جدول يبين نموذج لوجبات الطفل من عمر سنتين إلى ٥ سنوات.

عادات النوم:

الوجبة	المادة الغذائية والمقدار
إفطار ٧ صباحاً	كوب (٢٥٠ جم) لبن ـ ٥ ملاعق كبيرة بليلة أو منتجات حبوب ـ ٢٠ جم سكر، صفار بيضة ـ ٥ جم خبز.
الساعة ١١ صباحاً	٢٠٠ جم شوربة كتكوت أو حمامة ومغلى فيها ملعقتان مزودة بالأرز والبطاطس أو العدس. ١٠٥ جم لحم كتكوت أو حمام مفروم ـ ١٠٠ جم مهلبية ـ ٤٠ جم خبز ـ ١٥٠ جرام فاكهة.
الساعة ٣ بعد الظهر	٢٠٠ جم مهلبية ـ ٢٥ جم خبز.
الساعة ٧ مساء	٢٠٠ جم لبن ـ ٢٠ جم سكر ـ ٢٥ جم خبز

يكاد يكون النوم هو شغل الطفل الشاغل خلال فترة الطفولة الأولى ومتوسط عدد ساعات النوم فى الفترة من الميلاد حتى الشهر الرابع هى بين ١٧ ـ ٢٠ ساعة (ويهبط هذا العدد إلى حوالى ١٤ ـ ١٥ ساعة يوميا عندما يبلغ السنة تقريبا وإلى ١٣ ـ ١٤ ساعة عندما يبلغ السنتين)(١) كما أنه يجب أن يراعى الآباء أن تكون مواعيدنوم أطفالهم منتظمة وأن يهيئوهم للاستعداد للنوم قبل نومهم بفترة مناسبة لما يعود على هؤلاء الأطفال من صحة جيدة.

عادات الإخراج

وفى مقابل مجموعة الحاجات الجسمية التى تعطى للجسم ما يلزمه، فهناك حاجات عضوية تسعى إلى تخليص الجسم من الفضلات غير اللازمة له ـ وهذه هى الحاجة إلى الإخراج Need for Elimination من تبول وتبرز ومن السهل أن نتبين أن هذه الحاجات العضوية رئيسية يترتب على عدم إشباعها للأطفال القلق أو سهولة الإثارة.. فالإخراج الكافى المنظم لمهملات الجسم حاجة فيزيولوجية هامة. وعن الأطفال يقول بلير Blair وزميلاه فى هذا الصدد «إن الذين يعانون من انقباض الأمعاء (الامساك) غالبا مايكونون سريعى الإثارة، مرضى الجسم، غير موفقين فى عملهم الدراسى»[٢].

وإذا كنا نحن فيما يتعلق بالجزء الأول من هذه الفقرة نشجع الأمهات والمربيات على تنظيم مواعيد إخراج الطفل الوليد منذ اليوم الأول حتى يتعود على سهولة أداء هذه الوظيفة البيولوجية بعادات تعود عليه بالصحة الكاملة. فإننا ننعى على الآباء الذين يتعجلون قيام الطفل بضبط هاتين العمليتين فى وقت مبكر مستخدمين وسائل العقاب والتهديد، فقد يترتب على مثل هذه الأساليب بعض الاضطرابات السلوكية والانفعالية لدى الطفل وتتم السيطرة على عملية التبرز قبل نهاية السنة الثانية، أما التبول النهارى فيمكن التحكم فيه حوالى الشهر الثامن عشر، وأما التبول أثناء النوم فلا يتم التحكم فيه إلا فى حوالى منتصف العام الثالث أو نهايته، فإذا استمر أكثر من ذلك يجب عرض الطفل على الطبيب.

النمو العقلى: Mental Devel opment

من حيث النمو العقلى فى هذه الفترة تتسع دائرة تجارب الطفل وتزداد معرفته نتيجة إتقانه الكلام والمشى فيأخذ فى كشف الأماكن، ويتناول اللعب

والتحدث مع الأشخاص، ويفهم معنى الأوامر والنواهى، وخيال الطفل فى هذه المرحلة غير مقيد، وهو فى لعبه يبتكر ويحاكى الأب أو الأم.

فبدخول السنة الرابعة للطفل لم تعد العلاقة بالبيئة تنحصر فى التغذية والإخراج أو التقبل السلبى للطعام والراحة والدفء... الخ. إن العالم الخارجي يتسع نطاقه تدريجياً ومعه تتسع دائرة الاتصالات الاجتماعية للطفل، وتبدأ مظاهر السلوك التلقائى فى الانبثاق ومعها تتشكل الرغبة فى الاستقلال وتأكيد الذات مع جنوح ـ بين الحين والآخر ـ إلى جوانب طفلية من السلوك كما تتمثل فى الرغبة فى تسيير دفة الأشياء على هواه.

وفيما يتعلق بموقف الآباء فى هذا الصدد يجدر بنا أن نشير إلى واجب الوالدين خاصة، والأهل عامة، وكذلك المجتمع المحيط بهم فى تجنيب هؤلاء الأطفال المخاوف التى لا لزوم لها ولا ضرورة. وهنا نذكر الآباء بوجوب الإقلاع عن استثارة خيال الطفل بمخاوف وهمية مثل العفاريت والغول والأشباح وما إليها، لأن هذا غير مفيد صحيا ونفسيا وتربويا لهم. وكثيرا ما ينقلب عكسيا على حياة الطفل فيحوله من خوف سوى مطلوب ـ كالخوف من الله مثلا ـ إلى خوف مرضى ينغص عليه حياته.

ومن الممكن أن تتم عملية ضبط الخوف لدى الأبناء بواسطة الآباء بعدة طرق منها: ضبط الخيال عندهم، والقضاء على ما يعتريهم من أوهام قد تنتج عن تأثرهم بالأشباح والجن. وكذلك عن طريق العادة كتعويد الطفل على السير فى الظلام وحمله على مواجهة الأمور التى تخيفه، فالعادة بهذا الشكل تذهب الرهبة وتذهب الروع من وجدان الطفل نفسه.

ومن ثم فإن «على الآباء أن يبدأوا فى وقت مبكر بإزالة كل مثيرات الخوف التى لا ضرورة لها من بيئة الطفل قدر استطاعتهم .. وعلى الآباء أن يهتموا فى

هذا المقام بنوع برامج الإذاعة التى يستمع إليها أطفالهم وبأنواع الصور المتحركة التى يشاهدونها فى التليفزيون.. ويمكن الحيلولة دون حدوث الخوف بالسيطرة على المثيرات التى تحدثه»[٣].

النمو الانفعالى وموقف الآباء منه:

ذكرنا أن انفعالات الطفل فى سنى المهد تمتاز بالقوة ويصل نشاط الطفل الانفعالى إلى أقصاه فى نهاية السنة الثالثة وتكون خبراته الانفعالية على درجة كبيرة من الحيوية والقوة، كما أنه سرعان ما ينتقل من حالة انفعالية معينة إلى حالة انفعالية أخرى مضادة لها.. ولتعريف الانفعال يجب الانتباه إلى الأنشطة الجسمية المتضمنة السلوك الظاهر والمشاعر المصاحبة والنزوات. فالانفعال «خبرة عاطفية يصاحبها توافق داخلى عام ونشاط عقلى وفسيولوجى فى الفرد يفصح عن نفسه فى السلوك الظاهر، وعلى ذلك يمكن اعتبار الانفعال توافقًا ديناميكيًا داخليًا يعمل من أجل إشباع ووقاية وخير الفرد)[٤] وجدير بالملاحظة أن الطفل يولد مزودا بقدرة كامنةعلى الانفعال عامة، ومن بين تلك الانفعالات: الغضب، الخوف، الحب، وغيرها من الانفعالات الأخرى، لكن نمو الفرد انفعاليًا يتوقف على التفاعل الذى يتم بين عمليات النضج الجسدى والعقلى، وعمليات التعلم (من المحيط). والخوف من قبل الأبناء إنما يحدث بالنسبة لبعض المثيرات المادية القوية مثل الأصوات العالية المفاجئة كالمفرقعات أو الانفجارات التى تحدث دويا هائلاً ومزعجاً، على أن كثرة الأطفال تخاف الظلام والوحدة وبعض أنواع الحيوانات وسواها، ولا يصح أن ندفع الأطفال إلى مثل هذه المواقف ونكرهم عليها اعتقادا بأن هذه هى الطريقة الوحيدة لتخليصهم من مخاوفهم تلك. وحالة الطفل الصحية ومدى اطمئنانه فى الأسرة ودرجة نموه العقلى وقدرته على التحكم فى البيئة كل هذه الأمور يرجع إليها عند تحديد درجات الخوف عنده.

النمو الاجتماعى: Social development

عندما يبلغ الطفل عامة الأول ينمو لديه نموذج من الاستجابات يرضى عنه الكبار ويوضح هذا السلوك أنه ليس غافلا عما يدور حوله من أمور على الرغم من أنه مازال مهتما بنفسه فى المقام الأول.

ويتمكن الطفل فى سنته الثانية من أن يكون علاقة اجتماعية مع غيره من الأطفال وفى أخريات هذه المرحلة يبدأ الطفل فى البحث عن أصدقاء من سنه وجدير بنا معشر الآباء والأمهات أن نوفر له الأصدقاء الذين يجب أن يتعامل معهم فى اللعب ويتفاعل معهم فى الحديث ويتم بينه وبينهم عمليات الأخذ والعطاء، وبذلك توضع الأسس السليمة للتنشئة الاجتماعية والتربوية للأبناء من واقع دور الأسرة .

ويجدر بالمربى عموما أن يساعد الطفل على تكوين عادات صحية مناسبة، وأن يضع فيه بذور العقلية السليمة، وأن يمكن الطفل من التعبير عن نفسه تعبيرا حرا طليقا، كما أن عليه أن يعى تماما أن تنشئة الطفل على أسس سليمة هى عملية مستمرة تبدأ منذ الميلاد، بل ربما قبله كذلك!!.

الأسرة وعملية النمو الاجتماعى للأبناء

سبقت الإشارة إلى بيان الأهمية الكبرى التى يعلقها الأطفال على إشباع حاجاتهم النفسية باعتبار أنها الحاجات التى تشبع دوافعهم إلى الفاعلية وتحقق الكيان الذاتى لهم فى المجتمع، لذا فإن على الأمهات والمربيات أن يهيئن لأطفالهن الجو العاطفى والانفعالى السليم الذى يدعم نمو شخصياتهم منذ البدء. ومن ثم «فإن الأطفال يحتاجون ـ أول ما يحتاجون ـ من الناحية النفسية إلى الشعور بالأمان العاطفى To feel emotion security بمعنى أنهم محبوبون

كأفراد ومرغوب فيهم لذواتهم وأنهم موضع حب وإعزاز الآخرين. وتظهر هذه الحاجة فى نشأتهم، ولذا فإن الذى يقوم بإشباعها خير قيام الوالدان»[٥]. هـذه الحاجة ناشئة إذن عن حياة الأسرة السوية فهى القادرة على أن توجد هذا الشعور بالحب وتتعهده بالنماء حتى تجعل منه حالة يشير إليها الباحثون النفسيون باسم الأمان النفسى أو العاطفى TO Feel affectioallysecurity. هذا الأمان شرط أساسى لانتظام حياة الأطفال النفسية والصحية واستقرار مشاعرهم الاجتماعية وتركزهم حول النواة الأولى التى تكونت فى محيط الأسرة.

ذلك لأن فى أعماق الأطفال الصغار عموما حاجة ملحة إلى أن يكونوا محل حب الآخرين وعطفهم وهذا ما يتغذون عليه نفسيا بهذه المحبة التى يجب أن ينعموا بها من قبل أمهاتهم وآبائهم على السواء.

ولا يخفى علينا أثر انعدام تلك المحبة الأبوية للأبناء من نشوء أطفال غير أسوياء وأصحاب صحة نفسية وعقلية وخلقية مريضة ومنحرفة، بل غالبا ماتكون بدايات الانحراف الاجتماعى فى هذا النسق ناتجة عن افتقاد مثل هؤلاء الأطفال لهذا العطف وهذا الحب المطلوب ممن حولهم، وهو ما يعبر عنه البعض بأن الأسرة المفككة اجتماعيا هى مسرح لانحراف الجناح الأحداث نحو الجريمة فى المجتمع.

وثمة تعداد للحاجات النفسية والجسدية لدى الأطفال يتمثل فيما يلى:

١ ـ الحاجة إلى المحبة والعطف (كما أشرنا)

٢ ـ الحاجة إلى الأمن والطمأنينة.

٣ ـ الحاجة إلى الحرية.

٤ ـ الحاجة إلى سلطة ضابطة موجهة

٥ ـ الحاجة إلى التكريم والتقدير.

٦ ـ الحاجة إلى التشجيع على النجاح.
٧ ـ الحاجة إلى اللعب (المغامرة والمخاطرة).

وهناك حاجات أخرى أشار إليها راند Rand ـ (كالحاجة إلى الرضا بالجنس، بمعنى تعليم الطفل الذكر أن يقبل دوره ويقوم بمسئولياته كولد، وتعليم الفتاة أن تتقبل أيضا دور الأنثى، وتقوم بواجبات الأمومة والزوجية وتدبير المنزل دون تبرم أو تمرد على مطالب جنسها أو التشبه بالرجال فى الزى أو العمل أو الحياة. وكالحاجة إلى الاعتراف بالسلطة والتوافق معها.

تأتى هذه كنتيجة لإشباع حاجات الأمن النفسى والمركز الاجتماعى والانتماء،ثم الحاجة إلى تنمية وإظهار المواهب الباطنة.

والحاجة إلى تحقيق التوازن فى إيجاد توافق بين العالم الخارجى. والحاجة إلى أن يعيش المرء فى سلام مع نفسه. فالطفل يلزمه أن يتعلم كيف يصبح انبساطيا Extrovertive وأن يتفتح باطنه على العالم الخارجى.إن هذا يساعده «فى الكشف عن مواهبه وقدراته) وعلى أن يتكيف بنجاح مع ما يتطلبه العالم الخارجى ـ مما يعود عليه مرة أخرى بحياة نفسية أسعد»[٦].

وفيما يتعلق بحاجة الأطفال إلى إشباع شعورهم بالأمان النفسى والعاطفى فيكفى أن ندلل على مدى أهمية ذلك وأثره فيهم بأنه «أثبتت دراسات كثيرة أنه بدون هذا الحب والأمن النفسى خصوصا فى الطفولة المبكرة ـ أو فى الطفولة الأولى ـ يفشل الأطفال فى التفتح والازدهار من الناحية الجسمية بل أكثر من هذا تنمو فيهم اتجاهات شخصية معينة تعوق النمو العقلى والنفسى السليمين»[٧].

ومن ثم فنحن ننضم إلى الباحثين المنادين بضرورة إشباع هذه الحاجة لدى الأطفال بكل ما يستطيع الوالدان إلى ذلك سبيلا، وذلك تقديراً لما لها من

أهمية بالغة فى تنشئتهم الاجتماعية السليمة، ولا ينبغى أن تضار عاطفة الطفل Child المتفتحة للحب بظروف الأبوين أو أحدهما أيا كانت هذه الظروف «كأن تعد الأسرة أبناءها وبناتها بحيث يصعب المساواة بينهم فى الحب. أو كون الطفل عقبة أمام الأب فى تطليق الأم، أوكون الأم تكره زوجهافتنعكس كراهيتها له على أولاده، كل هذه ظروف لا شأن لها بكون الطفل حين ولادته كائنا واقعيا له حق الحياة والحب وحسن الاستقبال والرعاية. وبإيجاز فإن خير مايهدى الأبوين والمعلمين للإنسانية عموما والمجتمع خصوصاً طفل تربى على حب الآخرين وتقديرهم والتعاطف معهم»[٨].

أثر الآباء فى سلوك الأبناء:

فى هذه المرحلة يتعلم الطفل الذكر ـ من خلال التوحد بالأب ـ أن يسلك ويتصرف كما يتصرف أبوه، ولهذا فهو يحاكى الأب فى لزماته الحركية والحسية وتتوحد البنت بالأم وتقتدى بها فى تصرفاتها، وبهذا يبدأ التمايز فى الأدوار بين الجنسين فى هذه السن. «على أن من أهم جوانب التطور فى هذه المرحلة هو ذلك الذى يطرأ على أنماط اللعب فالخاصية الرئيسية للعب الأطفال فى هذه المرحلة هى محاكاة الكبار ولهذا يزداد الحماس والتذوق للألعاب الإيهامية التى يمثل فيها الطفل دور «أب» أو بالغ، بينما تمثل البنت دور «أم» أو عروس»)[٩].

وإذا كان بعض المربين والوالدين ينعى على الأبناء كثرة اللعب وتحطيم ما يشترونه لهم من أشياء ولعب بوصف أن هذا ضرب من (الشقاوة) لكنه يغيب عن هؤلاء «أن اللعب وتحطيم الأشياء هما وسيلتا الطفل للتفاعل مع العالم الخارجى والتعرف على أسراره والسيطرة على العلل الكامنة وراء الأشياء والحوادث، وبالتالى النمو الحركى والعقلى. وأن هذا النشاط هو الذى يمثل دور

الفاعلية فى العالم الخارجى الذى يقابل به الطفل قابليته وسلبيته فى الحياة، والذى يكمل به معلومات وتجارب عالمه الذاتى التى هى فى حاجة إلى الازدياد باستمرار... ولعل فى تأمل آثار اللعب المفيدة المختلفة ما يجعلنا نحن الكبار نتسامح فى تقبل لعب الأطفال وتوجيههم وتنظيمهم وهذا هو ما يجب على الآباء قبل أبنائهم فى هذه الحالة»(١٠).

الانتماء وأثره فى تكوين الطفل فى الجماعة:

فى السنوات المبكرة للنمو الاجتماعى للطفل تتحدد ملامح الصداقة فى علاقة بين طفلين وتتكون الصداقات عادة على أسس أهمها: تشابه الحجم والصفات العقلية والمزاجية والجوار والتقارب والمؤثرات الوالدية ويرتبط بذلك حاجة الطفل إلى الشعور بالتبعية والانتماء Sense of belonging للوالدين والأسرة ثم إلى الجماعات غير النظامية التى يكونها الأطفال كالفرق الرياضية والنوادى والجمعيات والشلل الخاصة وأخيرا التبعية والانتماء إلى الجماعات المنظمة. «ومنشأ الحاجة إلى هذا الشعور كما يرى ـ د. كمال دسوقى ـ حاجة الإنسان إلى العيش فى جماعة Need to live in society ثم تنتقل الحاجة إلى الانتماء للجماعات الأخرى التى يجد فيها الطفل إشباع الحاجة إلى الأمن العاطفى»(١١).

ويعتمد اتجاه النمو الاجتماعى للطفل فى هذا الصدد ـ إلى حد ما ـ على ردود فعل الآخرين (الأسرة) لجهوده الشعورية أو اللاشعورية لتحقيق شكل أو آخر لعلاقة اجتماعية مع الآخرين. «وتؤكد الفلسفة الحديثة على قيمة إعطاء الطفل كثيرا من الفرص يعبر فيها عن نفسه، ولا نستطيع أن ننكر أن التربية الوالدية ذات أثر قوى على الاتجاه الذى سوف يتخذه نمو الطفل ككائن إنسانى وهل سوف يصبح متمركزا حول الجماعة أو متمركزا حول نفسه فى اتجاهاته وسلوكه»(١٢).

وما ينبغى التنبيه إليه أن الأنشطة الجماعية لأى جماعة ينخرط فيها الطفل يجب أن تكون مقبولة اجتماعيا. ويعتقد(تراشر) Thrasher أن الولد يتشكل بالنظام الذى تفرضه الجماعة عليه ولا يمكن دراسة سلوكه أو فهمه بعيدا عن هذا الدور الاجتماعى، ويعكس شكل النشاط الذى يمارسه أعضاء الجماعة نوع الخبرات التى تعرضوا لها فى بيئاتهم المنزلية،فالأطفال الذين يستمتعون بالأمن وتعاطف واحترام ذويهم من الكبار يميلون إلى الاشتراك فى أنشطة مرغوبة مثل الأنشطة الرياضية وممارسة الهوايات وماشابه ذلك،ولكن الأطفال الذين أهملوا أو نبذوا أو حرموا من الامتيازات التى يستمتع بها الأطفال الآخرون قد ينضمون إلى جماعات تعمل ضد المجتمع، وقد تمثل أنشطة مثل هذه الجماعات مخالفة صريحة للقانون والنظام وتتمثل فى السرقةوالشجار والتخريب، والشعور بالانتماء للجماعة هو نتيجة طبيعية للشعور بالمركز الاجتماعى الذى يكون الطفل فيه ذا مكانة خاصة تتمخض عن أنه ليس مجرد شخص مرغوب فيه أو محبوب فحسب بل أنه مطلوب للجماعة ذاتها وأن وجوده ضرورى بالنسبة لها. ولاشك أن أثر ذلك يكمن فى أنه يكون من أهم العوامل التى تدفع إلى نجاح الأطفال فى حياتهم الاجتماعية ومن ثم تساعدهم على تكوين الشخصية العاملة والفعالة فى محيطهم الاجتماعى الذى يعيشون فيه.

من هذا العرض المسهب (لتطور نمو الطفل وأثر الآباء فيه) عبر المرحلتين: الأولى والثانية يتبين لنا أن النمو هو شغل الطفل الشاغل فى سنوات الحضانة ففى الفترة الواقعة بين الميلاد وبين السنة السادسة من العمر وعلى الطفل النامى أن يحقق قدراً كبيراً من التطور فى نموه الجسمى والعقلى والاجتماعى إذا أريد له فيما بعد أن يحقق إمكانياته. والطفل يقوم بنموه الخاص عن طريق النضج الداخلى ولكن نموه من جهة أخرى لا يتحقق على الوجه الأمثل إلا إذا لقى

الرعاية والعناية اللازمتين من القائمين على تربيته وهم الآباء والأمهات أو المربين عموماً، ولا يمكننا أن نرعى نمو الطفل ونتعهده خير تعهد إلا إذا وقفنا على مطالب هذا النمو وحاجاته لديه وعرفنا كيفية إشباعها الإشباع السليم الذى يتفق مع الحدود التى يرسمها المجتمع متمثلة فى قيمه وقواعده الاجتماعية التربوية السليمة.

المبحث الثانى
الطفولة المتأخرة وسماتها
(المرحلة الثالثة)
من السنة السادسة حتى السنة الثانية عشرة

تمهيد:

بانتقال الطفل إلى السادسة وحتى الثانية عشرة يدخل فى مرحلة الطفولة المتوسطة، ويطلق على هذه المرحلة أحيانا مرحلة الطفولة الهادئة كعلامة على اختفاء مظاهر الضجيج والصخب والعناد الشائعة فى المرحلة السابقة، فبداية السنة السادسة يدخل الطفل المدرسة، ويتغير أسلوب حياته فيميل للاستقرار الانفعالى والضبط النفسى، ويسير النمو فى هذه المرحلة مع التطور فى جوانب متعددة من النشاطات الحسية، والحركية والمعرفية والاجتماعية والأخلاقية، وتلعب جماعات الأصدقاء واللعب فى هذه السن دوراً مهما من حيث تطبيع الطفل على كثير من العادات الاجتماعية. وتثور بين الأبناء والآباء ـ فى تلك الفترة ـ أحيانا بعض الصراعات والخلافات بسبب الولاء للأقران وما يفرضه هذا الولاء أحيانا من متطلبات تتعارض مع متطلبات الآباء أنفسهم. وهذه المرحلة يطلق عليها علماء النفس أيضا مرحلة الطفولة المتأخرة التى تتميز بعدة خصائص هى:

النمو الجسمى Physical development

تتميز الفترة من الخامسة إلى الثامنة بأنها فترة نمو سريع فى الطول والوزن ففى بداية هذه المرحلة يكون نمو الطفل حوالى ثلثى طوله عند البلوغ على حين يكون وزنه حوالى الخمس.

لكن وزن الطفل هنا لا يستمر فى النمو بنفس النسبة السابقة بل يقل عنها لذلك يظهر الطفل نحيفا عما كان عليه من قبل، وتلعب عوامل: التغذية، الوراثة، والصحة الجسمية العامة للطفل دورها الملحوظ فى عملية النمو الجسمى للطفل فى تلك المرحلة، ويكتسب الطفل القدرة على الحبو والمشى وصعود السلالم والجرى، وهذا بدوره يؤدى إلى زيادة خبرته بالعالم الخارجى، وزيادة عنصر الطمأنينة عنده، فبالتدريج تشتد عضلاته وتقوى إمكانياته على ضبطها فى الأكل والشرب، واللعب وفى الكتابة(*) وبالإضافة إلى أن عملية المشى تعتبر تطورا جسميا هاما فهى كذلك تؤدى إلى تطور عقلى وانفعالى. فعن طريقها يتحرر الطفل من الأم أو المربية كما يتمتع بقدر كبير من الحرية والنشاط الذاتى ويتعرض ـ بالتالى ـ لعدد أكبر من الخبرات النفسية والنشاطات الاجتماعية المختلفة. (انظر شكل رقم «٤»).

على أن الطفل فى هذه المرحلة يتعرض للعدوى ببعض الأمراض كالسعال الديكى والحصبة الألمانية والجدرى وذلك نتيجة لنموه الجسمى السريع وضعف مناعة الطفل وتظهر الفروق بين الجنسين البنين والبنات فى هذا النشاط ـ نشاط الألعاب المنظمة ـ فى هذه المرحلة، إذ يلاحظ ميل الأولاد إلى اللعب المنظم القوى الذى يحتاج إلى جهد عضلى عنيف كالكرة بينما تميل البنات إلى لون آخر من اللعب كالرقص الإيقاعى .

(*) المصدر: عبد الستار إبراهيم: الإنسان وعلم النفس، ص١٢٧، مرجع مذكور.

ثم يأخذ النمو الجسمى فى البطء بعد الثامنة، ويحدث تقدم فى ضبط حركات الطفل مما يؤدى إلى زيادة الميل إلى المخاطر فيزداد نشاط الطفل وحركته فيتسلق الأشجار والمرتفعات ويندمج فى الألعاب الحركية الأخرى وتقوى عضلاته ويصير أقدر من ذى قبل على الأعمال التى تحتاج إلى الدقة كالرسم والأشغال اليدوية عند البنين والخياطة والتطريز عند البنات.

النمو النفسى: psychological development

والطفل فى هذه المرحلة كثير النشاط يميل قبيل الثامنة إلى الانتقال من مرحلة الخيال والإيهام والتمثيل إلى مرحلة الواقعية، ويعبر عمليا عن نظرته لبيئته ويقدر الأشياء وفقا لقيمتها العملية ويحرص على التمسك بالحقيقة.

النمو العقلى: mental development

وهو يتمثل لدى طفل تلك المرحلة فى أربعة أشياء هى:

- الإدراك.
- الانتباه.
- الذاكرة.
- التفكير.

ففى تلك المرحلة يستمر نمو الطفل العقلى ويتقدم ادراكه للعلاقات بين أجزاء الأشياء المركبة ويتسع مدى هذا الإدراك عنده ويزيد وضوحاً ويصبح الطفل آنذاك أقدر على تركيب الأشياء المعقدة.

وهذا مايعبر عنه عادة بالنضج العام فى مختلف القوى العقلية للطفل - لاسيما بعد سن التاسعة - ويظهر ميله للاطلاع والمعرفة والاستكشاف والمصادقة للأقران بالعالم خارج الأسرة.

النمو الاجتماعى: Social development

فى هذه المرحلة أيضا تقوى رغبة الطفل فى أن يكون مرغوبا فيه من الجماعة التى ينتمى إليها حيث تظهر لديه الحاجة للجماعة والارتباط بها، وتتجلى فى مقابلته لزملائه وزيارته لهم واللعب معهم... إلخ، ولذا يمكن أن تسمى هذه المرحلة بمرحلة «الشلة» Gangage وفيها ينتقل النمو الاجتماعى للطفل من حالة التمركز الذاتى والفردية إلى مرحلة التعاون وحسن التكيف مع الصحبة أو الجماعة.

ويتحرر الأطفال قليلا من اعتمادهم على الكبار فى الأسرة ليدخلوا مع الأطفال فى نفس عمرهم، وتكون هذه الجماعة صغيرة فى أول الأمر ثم تتسع بعد ذلك،وعلى الرغم من اتساع محيط الطفل الاجتماعى فى تلك المرحلة إلا أن الآباء يميلون فى العادة إلى معاملته كطفل صغير مما يؤثر على علاقات الطفل بمن حوله وكذلك فى اتجاهاته.

وللمدرس فى المدرسة أثر فعال فى تربية الأبناء وتنشئتهم التنشئة الاجتماعية وتقع عليه مسئوليات جسام فى تلك الفترة من مرحلة تكوين الأبناء تربويا ونفسيا ومن ثم تؤثر علاقة المدرس هذه فى النمو الاجتماعى للأبناء لأن موقف المدرس من الطفل يكون موقف الناصح والصديق والمرشد.

النمو الانفعالى: emotion development

ومن الانفعالات التى تعترى الأبناء فى تلك المرحلة: الخوف والغضب والغيرة، وثمة مشكلات للأبناء تظهر نتيجة لذلك وبسبب العلاقات العائلية، فإذا أثارت ظروف البيت بواعث القلق عند الابن وأشعرته بالنقص والخطيئة فقد يؤدى ذلك إلى إثارة انفعال الغضب عنده أو يثير الكبت النفسى داخله، كما

أن العقاب الذى يوقع عليه قد يزيد من مشكلاته النفسية وهذا مالا يفطن إليه بعض الآباء ومن ثم يجب عليهم تجنبهم إياه بالنسبة لأولادهم.

ضرورة تعليم الطفل حل مشكلاته

يجب أن نشير هنا إلى نقطة مهمة وهى ضرورة أن تقوم الأسرة إلى جانب المدرسة فى تلك المرحلة من مراحل نمو الطفل وتطوره بتعليم الطفل حل مشكلاته التى تندرج ضمن عدة مبادئ تعليمية أخرى، كتعليمه أن يعلم نفسه بنفسه، وأن تحرر شخصيته من التبعية والاعتماد المطلق على الأسرة، وأن تنمى إبداعه.. إلخ.

وتعليم الطفل حل مشكلاته، وهو ماتعنينا الإشارة إليه، معناه تعويده على مواجهته بمشكلات واقعية مناسبة لسنه وبيئته، ثم تعليمه مواجهة العالم الذى يحيط به مواجهة موضوعية تقوم على إدراك المشكلة من جميع جوانبها والإلمام بها إلماماً واعياً ودراسة معطياتها وتحديد معالمها ومجاهلها، وافتراض الحلول لها والعمل على وضع هذه الحلول موضع التنفيذ والخروج منها بمبادئ عامة ومواقف صحيحة وخبرة غنية وتعمق ذكى.

وبديهى أن مثل هذه الحلول للمشكلات يجب أن تقوم على أساس من العلم ومعطياته والمنطق الصحيح لتعقل الأمور وحقائق العقل ومبادئه الصحيحة والإرادة القوية والتصميم الذكى، وبذلك وحده نكون قد أكسبنا الطفل دراية وعلمناه وزودناه بالخبرة والحكمة اللازمتين.

أما من حيث تحرير شخصية الطفل وتنمية إبداعه فيقصد به ـ كما يقول د. فاخر عاقل. «بناء شخصية للطفل متحررة تؤمن بالعلم ولا تلتفت إلى الخرافات ولا تتمسك بالتقاليد البالية ولا تعيش على الأوهام والأساطير، شخصية قوية تؤمن بالحق والخير والجمال وتندفع إلى العمل المثمر البناء، شخصية متحررة تؤمن

بالإنسان وبقدرته على الخلق والإبداع، شخصية تؤمن بالعالم الأمثل والخلق القويم وتعمل على التعايش مع الزميل والجار والصديق والرفيق، شخصية تتخذ من العمل الدءوب طريقا للنجاح ومن المنافسة الشريفة واسطة للتفوق ومن روح الجماعة وسيلة للتعايش» أ.هـ.

وأما تنمية الطفل فيقصد بها «أولاً: الإيمان بأن لكل إنسان قدرات مبدعة إذا أتيحت لها الفرصة نمت وربت وساهمت فى إغناء التراثين القومى والإنسانى وحققت لصاحبها الرضى النفسى والربح المادى والسعادة الدائمة، ويقصد بها ثانيا: الإيمان بأن هذه القدرات المبدعة هى رأسمال قومى تستثمره الأمم فى تقدمها من أجل خيرها وخير الإنسانية جمعاء، ويقصد بها ثالثا: جعل العمل منبعا للرضى وحافزا على التقدم ودافعا للخلق والإبداع»(١٣).

الخلاصة

تتكون شخصية الطفل (الأبناء) فى الأسرة عبر سلسلة من المراحل التكوينية المتعاقبة والمتطورة ويطلق على ذلك كله معنى «النمو» الذى يكون للأسرة ـ الآباء والأمهات ـ دور كبير فيه إلى أبعد الحدود، ومن ضمن ما يمثله نمو الأطفال فى تلك المراحل: النمو الجسمى، وما يرتبط به من ضرورة مراعاة النماذج المثلى والصحيحة لوجبات الطفل وغذائه خصوصا فى المراحل الأولى من عمره وكذلك تنظيمها لعاداته المختلفة، كعادات النوم والإخراج وضبط انفعالاته، كانفعال الغضب والصراخ والعراك مع الإخوة فى المنزل، ويلعب الآباء دوراً كبيراً فى سلوك أبنائهم يتمثل فى تأثرهم بعاداتهم ومحاولتهم محاكاتها وتقليدها، ومن ثم يجب على الآباء إدراك ذلك جيداً وحثهم على تقديم القدوة والأسوة الحسنة للسلوك والعادات السليمة التى يتربى عليها

أبناؤهم فى تلك المراحل والسنين المختلفة، كما أن عليهم أن يضبطوا ـ فى سلوك الأبناء ـ الخوف الشديد، والغضب البالغ، حتى لا يتحول ذلك إلى مرض عند الطفل.

ومن ثم فإن عليهم أن يهتموا فى هذا الصدد بنوع برامج الإذاعة التى يستمع إليها أطفالهم، وبأنواع الصور المتحركة التى يشاهدونها فى جهاز (التليفزيون)، وكذلك ما يقصون عليهم من قصص أو حكايات قد تثير فى وجداناتهم مشاعر الخوف والقلق.

وإلى جانب ذلك فإن للأسرة فى عملية النمو الاجتماعى للأبناء دوراً بارزاً وخطيراً يضطلع به الآباء أنفسهم، فالأطفال فى هذا الطور من مراحل النمو هم فى حاجة إلى الشعور بالأمان النفسى والأمان العاطفى، والأسرة السوية هى القادرة على أن توجد هذا الشعور بالحب وتتعهده بالنماء حتى تجعل منه حالاً للاستقرار النفسى لدى الأبناء خصوصاً فى تلك «النواة» أو الخلية الأولى للمجتمع.

مراجع الفصل الرابع

١ ـ صالح عبد العزيز، التربية الحديثة، الجزء الثالث، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٧، ص١٥٩ ـ ١٦٠.

٢ ـ عبد العزيز القوصي و (آخرون) دكتور، علم النفس، الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية، التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٧٧/٧٦، ص٨٥.

٣ ـ كمال دسوقى، (دكتور) النمو التربوى للطفل والمراهق ـ دروس فى علم النفس الارتقائى، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩، ص١٢٨.

٤ ـ عبد الستار إبراهيم ((دكتور)، الإنسان وعلم النفس، عالم المعرفة، الكويت ١٩٨٥، ص ١٣١.

٥ ـ كمال دسوقى، المرجع السابق، ص١٢٨.

٦ ـ فاروق عبد الفتاح (دكتور) علم النفس التربوى، دار الثقافة، القاهرة ١٩٨١، ص١٠٦.

٧ ـ المرجع نفسه، ص١١٥.،

٨ ـ كمال دسوقى، المرجع السابق، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

٩ ـ محمد على قطب، أولادنا فى ضوء التربية الإسلامية، دار القرآن القاهرة، ص٦٢.

١٠ ـ كمال دسوقى، المرجع السابق، ص١٤٧.

١١ ـ المرجع نفسه، ص ١٣٧ ـ ١٣٩.

١٢ ـ فاروق عبد الفتاح، المرجع السابق، ص١٢٨ ـ ١٤١.

١٣ ـ د. فاخر عاقل، دراسات نفسية واجتماعية (كتاب العربى) يناير، ١٩٨٥، ص ٤١، ٤٣.

الفصل الخامس

مرحلة المراهقة وخصائصها

بعيداً عن مذاهب اختلاف الباحثين النفسانيين فى تحديد بداية مرحلة المراهقة adolescence فإنه يمكننا القول ـ مع جمهرتهم ـ إنه بانتهاء مرحلة الطفولة المتأخرة عند سن الحادية عشرة أو الثانية عشرة تقريبا يبدأ دخول الفرد فى طور المراهقة، وعلى ذلك فمرحلة المراهقة هى المرحلة التى تبدأ من سن البلوغ أى السن التى تنضج فيها الوظائف الجنسية وتنتهى بسن النضوج العقلى والانفعالى والاجتماعى، ومعنى ذلك إن البلوغ puberty يمثل ناحية واحدة من نواحى النمو هى الناحية الجنسية ويقصد بذلك نضوج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة وهى تنحصر باتفاق غالبية هؤلاء الباحثين فيما بين الثانية عشرة والثامنة عشرة.

ولتلك المرحلة عدة خصائص بارزة فيما يتعلق بمظاهر النمو المختلفة من سماتها أنه يطرأ على جسم المراهق نمو ملحوظ يتمثل فى غلظة الصوت ونمو الشعر فى أماكن معينة من جسمه، تحت الإبط وحول العانة، كما يطرأ على الفتاة أيضا زيادة فى الطول والوزن وبروز الصدر وتضخم الثديين ونعومة الصوت.. وما إلى ذلك من علامات الأنوثة.

وكما أن نشاط الغدد الصماء المسئولة عن النمو فى تلك المرحلة يؤدى إلى التأثير فى سلوك الفرد وبالتالى توجيه نشاطه ـ أوعدم نشاطه ـ نحو الخارج، فإن المنبهات الخارجية يمكن أن تعجل أو تنشط من الإفرازات الهرمونية لتلك الغدد (كالغدة النخامية والغدة الدرقية التى تضبط نمو الجسم وتستثير مستوى النشاط العام) ففى مواقف الخطر يزداد نشاط الغدة الأدرينالية ويزداد نشاط الغدة الجنسية فى حالة الاستثارة الجنسية أو الانجذاب لأحد من الجنس الآخر.

وتبدأ غالبية الغدد المرتبطة بالنضج الجنسى عملها وإفرازاتها الهرمونية فى مرحلة المراهقة مؤدية لهذا الإحساس المفاجئ بالتغير البيولوچى الذى يشمل الجسم كله، وهنا يجد المراهق نفسه مرغما على التكيف مع التغيرات البدنية الجديدة على الرغم من أن الأفكار والسلوك لايزالان يحملان الآثار الطفلية السابقة.

ومن ثم فكثيراً ماتحدث بعض المشكلات المتعلقة بالمراهق وبيئته المحيطة به، ترجع إلى هذا النضوج الجنسى الملحوظ، وكذلك إلى مايضعه المجتمع من حواجز ومايفرضه من قيود نحو تحقيق تلك الوظائف.

فالبلوغ إذن هو التطور الجسدى الذى يجعل الفتى قادراً على أن يولد والفتاة قادرة على أن تحمل، وسبب البلوغ هو نمو الجسد ولاسيما الغدد الجنسية. ومن هنا كان مهما جداً بالنسبة للصبى أو المراهق المقبل على البلوغ أن يعلم شيئا عما سوف يحدث له عما قريب، وبالتالى كان واجب الأب أو الأم شرح مسألة البلوغ لأولادهم حتى لا يفاجأوا بها.

يعتقد اريكسون Erikson أن الأزمة الرئيسية التى تميز المراهقة هى أزمة البحث عن الهوية، ففى تلك المرحلة تختلط الأدوار التى يضطلع المراهق باختيارها فهو يريد أن يحقق دور الراشد المستقل عن الأسرة، والزميل المخلص

لقيم الأصدقاء، وفى نفس الوقت الابن الطيب فى أسرته، ولاشك أنها أزمة حقيقية تواجه المراهق للتوفيق بين المتطلبات المتعارضة لهذه الأدوار» [١].

«ويتسق مع هذا النمو فى الهوية نمو آخر فى الأحكام الأخلاقية، ففى تلك المرحلة يتطور الحكم الأخلاقى إلى المرحلة التى يسميها كوهلبرج مرحلة الالتزام بالقانون العام والإحساس بضرورة الخضوع لنظام اجتماعى ينظم الفوضى السائدة ويفرض بعض الضوابط» [٢].

ومن رأى بياجيه Piaget «أن فترة المراهقة تعتبر أيضا فترة نضوج فى نمو التفكير، ففى هذه المرحلة يصبح الكائن قادرا على تنظيم الحقائق والأحداث من خلال استخدام عمليات معقدة من التفكير الرمزى التجريدى» [٣].

الخصائص العامة لمرحلة المراهقة (*)

من المفيد أن نتناول خصائص مرحلة المراهقة بالتحليل باعتبارها التحدى الأول الذى يواجه المربين.. وقد رأينا أن يكون تحليلنا موضحا لما بين بداية المراهقة ونهايتها من فوارق يلزم أن نكون جميعا على علم بها لأهميتها. وقد اتفق علماء النفس على أن المراهقة المبكرة تمتد من سن الثالثة عشرة إلى السادسة عشره وأن المراهقة المتأخرة تمتد من السابعة عشرة إلى الحادية والعشرين وسنتناول كلا منهما من حيث الخصائص الجسمية والعقلية والثقافية والنفسية والاجتماعية بإيجاز على النحو التالى:

---

* من الجدير بالملاحظة أنه على الرغم من شيوع هذا التقسيم لمرحلة المراهقة فى مؤلفات علم النفس والتربية، إلا أن ثمة رأيا حديثا نؤيده يرفض هذا التقسيم حيث يفضل الوقوف بمرحلة الشباب عند سن الخامسة والعشرين أو ما حولها لأن هذه هى السن التى تحدث عندها تحولات هامة فى حياة الفرد فعندها يترك التعليم بعد استكماله ـ عادة ـ ويلتحق بعمل دائم ويتزوج، أو يسعى إلى تحقيق ذلك على الأقل، فهو بعبارة أخرى يترك «فترة الطلب» ويبدأ حياة الراشدين. ولسنا نرى مبررا لتقسيم مرحلة الشباب إلى فترتين. فترة شباب متأخر تغطى السنوات الباقية حتى الخامسة والعشرين. فمثل هذا الرأى الذى يقوم على أساس فكرة بلوغ سن «الحقوق المدنية» هو متابعة التصنيفات الشائعة فى التراث الأجنبى، والأوروبى الغربى والأمريكى بخاصة ولا نجد له داعيا فى المجتمعات العربية ومن ثم لانعتقد =

أولا: المراهقة المبكرة (١٣ ـ ١٦سنة) (**)

١ ـ السمات الجسمية

ـ نمو جسمي سريع لا يتناسب مع معدل نمو القلب والدورة الدموية

ـ نموعضلى وعظمى سريع لكن النمو العظمى يكون أسرع من العضلى.

فتطول الذراعان مثلا دون أن تنمو عضلاتهما نموا مناسبا، ويسبب ذلك ميلا نحو الخمول والكسل والتراخى وعدم دقة الحركات.

ـ فى نهاية المرحلة تكتمل مرحلة البلوغ وغالبا مايبدأ التغير فى الصوت بين نغمات حادة دقيقة وبين نغمات ضخمة خشنة تؤدى غالبا إلى الإحساس بالخجل.

ـ زيادة نشاط الغدة النخامية والتناسلية ممايحدث تغيراً فى شكل الأعضاء التناسلية يصاحبه تيقظ الاهتمامات الجنسية، ومزاولة العادة السرية فى أغلب الحالات.

ـ يبدو الاهتمام الشديد بالجسم مع القلق للتغيرات المفاجئة فى النمو الجسمى.

ـ زيادة الشهية للطعام، والرغبة فى الراحة والنوم.

ـ تقترب حالة المراهق الصحية العامة من حالة المرض مع تعرضه للإصابة بفقر الدم (الأنيميا) وتقل مقاومته للأمراض.

= أن هذا التقسيم إلى فترتين يمكن أن يساعد فى حل هذا «الإشكال» أى إشكال مرحلة المراهقة... انظر فى تفصيل هذا الرأى عزت حجازى (دكتور) : الشباب العربى ومشكلاته (الطبعة الثانية) المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ـ عالم المعرفة ١٩٨٥ ص ٣٤، ٣٥.

** انظر: محمد جمال الدين محفوظ/ لواء أ.ح فى مقاله بعنوان «مرحلة المراهقة فى التربية الإسلامية»، منشور بمجلة الوعى الإسلامى العدد/ ١٠٠/ شعبان ١٤٠١هـ ص ١٠٧، ١١٤.

٢ ـ السمات العقلية والثقافية:

ـ تبدأ الفروق فى النواحى العقلية تنضج، وتبدأ قدرات واستعدادات المراهق فى الظهور.

ـ يصبح المراهق قادرا على تركيز الانتباه فى المحاضرات والأحاديث الطويلة وخاصة إذا اتفقت مع ميوله ورغباته.

ـ يبدأ شغفه بالعلوم وخاصة تلك المتصلة بالبحر والجو، وكذا يبدأ ميله إلى الرحلات والتجوال بهدف اكتساب المعارف الجديدة وزيادة خبراته.

ـ يبدأ البحث فى مسائل الدين والعقائد التى كان يتقبلها من قبل عن طريق الانصياع أو التقليد.

٣ ـ السمات النفسية والاجتماعية:

ـ يبدأ المراهق فى التخلص من الأنانية (التى تعد من خصائص مرحلة الطفولة) وينمو لديه الإحساس بالرابطة والولاء للجماعة، ويصل هذا الولاء أحيانا كثيرة إلى حد التعصب الأعمى.

ـ يتصف المراهق بالخجل نتيجة للتغيرات المفاجئة، ويميل إلى التردد لعدم ثقته فى نفسه، وعدم فهمه لطبيعة تلك التغيرات ومداها.

ـ ينزع إلى التذمر وإلى الانسحاب من سلطة الأبوين إلى سلطة الجماعة وقد يصل به ذلك إلى حد الثورة والتمرد.

ـ يميل إلى اختيار أصدقائه بنفسه ويرفض أن تفرض الأسرة عليه الأصدقاء.

ـ يبدأ مرحلة من الاضطراب الانفعالى ومن الحساسية الشديدة للنقد ويزيد لديه الاعتزاز بالنفس.

ـ يهتم المراهق بمظهره ويميل إلى لفت الأنظار إليه (مثل لبس الملابس الملونة) ويتميز النمو الوجدانى لديه بحب العظماء والزعماء ويتخذ منهم مثله العليا.

ـ يميل إلى مشاركة الكبار ألعابهم وتقليدهم ويتقلب فى تصرفاته بين سلوك الكبار والصغار.

ـ تبدو انفعالاته عنيفة مع عجزه عن التحكم فيها ويثور لأتفه الأسباب.

ـ بعض المراهقين يتعرضون لليأس والحزن والآلام النفسية بسبب تقاليد المجتمع التى تحول بينهم وبين تحقيق رغباتهم وقد يؤدى بهم ذلك إلى التفكير فى الانتحار.

ـ تتكون لدى المراهق بعض العواطف الشخصية نتيجة لنمو الذات.

ثانيا: المراهقة المتأخرة (١٧ ـ ٢١)

١ ـ السمات الجسمية

يحدث استقرار فى النمو الجسمى من حيث الحجم والوزن يصاحبه بعض النمو فى العضلات والصدر والكتفين ويصل المراهق إلى النضج البدنى تقريبا ويتحسس التوافق إلى الحركة والنشاط بأكثر ما يملك من طاقة، فهو مثلا يرهق نفسه بالتمرينات البدنية حتى يقوى عضلاته دون النظر إلى حدود قدراته وطاقته.

يسعى إلى اكتساب الرشاقة بالتدريب على أنواع الرياضة الفردية التى تؤدى إليها وتنضج لدى المراهق نزعات الرجولة ويصل إلى النضج الجنسى التام.

٢ ـ السمات العقلية والثقافية

ـ يكتمل نضج القدرات العقلية المختلفة وتنضج الفروق الفردية لديه.

ـ يتميز المراهق بالطابع الخيالى ويتجه إلى الفنون الجميلة والقراءة التى تساعده على صقل خياله.

ـ تنطلق لديه أحلام اليقظة كوسيلة لإرضاء النفس وكمتنفس لطموحه وآماله (سوف نتناولها فيما بعد).

ـ يميل المراهق إلى دراسة الأجهزة وفك أجزائها وتركيبها.

ـ يفضل المراهق التذكر المبنى على الفهم ويكره أسلوب الحفظ.

ـ يبدأ اهتمامه بالتخصص العلمى أو المهنى ويزيد تفكيره فى أمر العمل والمستقبل.

ـ يهتم ببحث قضايا الدين والفلسفة وبالكشف عن الأسباب والمسببات مماقد يصل إلى مستوى الشك.

ـ تزيد رغبته فى المناقشة والجدل.

ـ قراءاته المفضلة قصص المغامرات والمخترعات والقصص الغرامية والقصص البوليسية الغامضة والصحف والمجلات مع الميل إلى أخبار الرياضة والجريمة.

٣ ـ السمات النفسية والاجتماعية:

ـ يتحول المراهق من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس.

ـ يميل إلى النقد وإلى تغيير الأوضاع ويبدى مقترحات عملية للإصلاح.

ـ يميل إلى مقاومة السلطة والاحتجاج والغضب والتمرد والثورة ضد الأسرة والمدرسة.

ـ تزيد رغبته فى مشاركة أفراد الجماعة من أصدقائه وتبادل الحديث معهم خاصة مايتعلق بأخبار الرياضة والجنس والملبس ويزيد شعوره بالمسئولية نحو الجماعة.

ـ يزيد ميله نحو اختيار الأصدقاء بنفسه ويتأثر بهم من الناحية الخلقية مع الرغبة فى التحرر والانطلاق.

ـ يميل أفراد كل جنس إلى الجنس الآخر ويزيد الاهتمام بالسلوك فى مواجهة الجنس الآخر.

ـ يزيد اهتمام المراهق بالمظهر والتأنق فى الملبس وخاصة مايلفت النظر منه ويزيد ميله إلى اكتشاف البيئة والمخاطرة والمغامرة والتجول والارتحال وإلى الحفلات الجماعية والألعاب المشتركة (وخاصة تلك التى يشترك فيها الجنسان).

ـ تتجه عواطفه نحو المعانى والأشياء الجميلة.

ـ يميل إلى الزعامة والقيادة.

هذا عرض موجز لخصائص المراهقة، الجسمية العقلية والنفسية والاجتماعية فى بدايتها حتى نهايتها ومنه نستبين أبعاد أول التحديات التى تواجة المربين والدعاة ويبقى أن نتناول ثانى هذه التحديات وهى مشكلات المراهقين الانفعالية وأسبابها.

مشكلات المراهق الانفعالية:

من ألزم الأمور للآباء والمربين والدعاة أن يتفهموا الأسباب الكامنة وراء مشكلات المراهق الانفعالية فإن الجهل بهذه الأسباب أو إهمال النظر إليها يؤدى إلى عواقب وخيمة لعل من أبرزها حدوث «التصادم» بين المراهق وبين القائمين على تربيته وتوجيهه، وهو الأمر الذى يجب تفاديه والحيلولة دون وقوعه. ومن تلك المشكلات مايلى:

١ ـ العجز عن التكيف مع البيئة:

أول أسباب حساسية المراهق الانفعالية واضطرابه الانفعالى هو عدم قدرته على التلاؤم مع البيئة التى يعيش فيها؛ إذ يدرك المراهق عندما تتقدم به السن قليلا أن الطريقة التى يعامل بها لاتتناسب مع ماوصل إليه من نضج وماطرأ عليه من تغير، فالبيئة الخارجية التى تتمثل فى الأسرة والمدرسة والمجتمع لاتعترف بماطرأ عليه من نضج أو لا تقيم له وزناً ولاتقر رجولته وحقوقه كفرد له ذات مستقلة.

ويفسر المراهق كل مساعدة يقدمها له أبواه على أنها تدخل فى شئونه فيعترض على ذلك ويظهر اعتراضه فى صور عدة كالعناد والسلبية وعدم الاستقرار أواللجوء إلى بيئات أخرى يجد عندها متنفسا للتعبير عن حريته المكبوتة.

٢ ـ مطالبته بسلوك ينم عن النضج:

ومما يتسبب فى اضطراب المراهق الانفعالى أنه فى الوقت الذى لايعترف فيه أبواه بما وصل إليه من نضج يراهما ينتظرون منه سلوكا ينم عن النضج الأمر الذى يسبب له حيرة واضطرابا.. والسر فى ذلك أن مايطرأ عليه من نمو فى الجسم «يخدع» أبويه فيجعلهما يتوقعان منه نضوجا فى سلوكه العقلى والاجتماعى. ولما كان النضج الجسمى فى مرحلة المراهقة يتم بسرعة فى عامين أوثلاثة ـ كما بينا ـ فإن هذه الفترة تعد غير كافية لتحقيق نضج المراهقين من الناحية العقلية يقابل ما طرأ على أجسامهم من نمو سريع، ونتيجة لذلك قد يقوم المراهق ببعض التصرفات الصبيانية، وهذا أمر طبيعى، لكن الكبار لايرحمونه فيستنكرون تلك التصرفات مما يشعره بخيبة الأمل وعدم الأمن، أضف إلى ذلك أن الأسرة تطالبه بتحمل بعض المسئوليات التى لاتتفق مع قدراته فى تحقيق هذا المطلب.

٣ ـ شعوره بعدم الاستقلال والتحرر:

يلاحظ المراهق أن هناك قيوداً تفرضها عليه الأسرة والمدرسة وتحول بينه وبين مايتطلع إليه من استقلال وتحرر، لذلك نراه يعتبر كل شىء فى المنزل أو المدرسة مصدر ضيق له، ويثور على كل مايوجه إليه من نصح ويعتبر هذا النصح اعتراضاً على حريته واستقلاله، فيميل دائما إلى التمرد وتحدى الآراء والأوضاع القائمة.

٤ ـ العجز المالى

ومن بين الأسباب التى تعمل على اضطراب المراهق وعدم استقراره الانفعالى عجزه المالى الذى يقف دون تحقيق رغباته، فقد يجد نفسه وسط جماعة من

رفاقه ينفقون عن سعة وهو فى الوقت ذاته عاجز عن مجاراتهم أو المشاركة فى مسراتهم وكل ذلك يسبب له الضيق والشعور بعدم الطمأنينة.

٥ ـ الدافع الجنسى:

ليست العقبات المالية مقصورة على مشاركة رفاقه فى مسراتهم بل إنه فوق ذلك يشعر أنه قد اكتمل من الناحية الجنسية، وأنه يريد أن يعبر عن تلك الدوافع الجامحة فى نفسه بالزواج، غير أنه يصطدم بالواقع، فالقصور فى الموارد المادية يقف هو وغيره من العوامل الأخرى بينه وبين ماينشد من استقلال وبين التعبير عن دوافعه الطبيعية. وهنا تزيد حدة التوتر الانفعالى اللهم الا إذ ا وجد بديلا يعبر عن الدافع الجنسى القوى ويكون الاحتلام من بين الوسائل الطبيعية للتعبير عن هذا الدافع، وعلى الرغم من أن هذه عملية غير إرادية إلا أنها تسبب ضيقا لدى الكثير من الفتيان المراهقين إذ يعتبرونها خطيئة، ويزيد الطين بلة أن بعض الآباء لايترفقون بأبنائهم نتيجة لسوء التقدير والفهم، وهكذا يصبح الأمر الطبيعى مصدراً للقلق والصراع العقلى وقد يسبب فى بعض الأحيان شقاء يستمر مدى الحياة.

وما يقال عن الاحتلام يقال أيضا عن العادة السرية إذ يحدث الصراع العقلى بسبب ممارستها وخاصة إذا تمكنت من المراهق بدرجة زائدة عن الحد، كما يزيد هذا الصراع إذا تعرض المراهق للوم أو التقريع مما يضاعف من شعوره بالخطيئة والخوف.

أحلام اليقظة:

أما أحلام اليقظة فهى ظاهرة عقلية فى حياة الإنسان غير أنها تكون واضحة فى مرحلة المراهقة وهى وسيلة يعبربها المراهقون عن ميولهم ورغباتهم عن طريق الخيال وهى تنقسم إلى طائفتين: الأولى أحلام تدل على الشعور بالقوة والعظمة والسيادة، كأن يتخيل المراهق نفسه بطلاً قوى الجسم مفتول العضلات

رأى فتاة تغرق فى البحر ولا تجد فيمن حولها من يجسر على إنقاذها فتأخذه الحمية، فيقفز إلى المياه معرضا نفسه للخطر وينقذها، فهذا النوع من أحلام اليقظة يجد فيه المراهق كثيراً من التعويض عما يشعر به من عجز فى قدراته. أما الطائفة الثانية من هذه الأحلام فتعبر عن الشعور بالنقص وهى ضرب من «حب التألم» (أومايسمى بالماشوسية) وتلجأ الفتيات المراهقات إلى هذا النوع من أحلام اليقظة عادة فى حالات القنوط واليأس الشديد فتتخيل الفتاة نفسها فى مواقف تسبب لها الآلام والتعذيب وهى تجد فى ذلك لونا من الراحة النفسية شأنها فى ذلك شأن من يبكى عند مشاهدة مسرحية حزينة، إذ يجد فى البكاء راحة للنفس.

وما يعنينا فى أحلام اليقظة أنها سلاح ذو حدين فكما أنها تحفز همة المراهق وتدفعه إلى العمل لتحقيق مايفكر فيه فى عالم الخيال، وتكون وسيلة لتوجيه قدراته إلى الابتكار والإبداع وتنميتها، إلا أنها فى الوقت نفسه تعتبر مضيعة لوقته الذى يمكن أن يستغله فيما ينمى ميوله من عمل ونشاط ثم إن بعض المراهقين ـ وهنا موطن الخطر ـ يجدون إشباعا لحاجاتهم فى خيالهم ومن ثم لايبذلون إلا جهداً قليلا لتحقيق النجاح الواقعى فى حياتهم العملية.

الاتجاهات النفسية للمراهقين:

ثبت علميا أن مرحلة المراهقة هى المرحلة التى تتكون فيها الاتجاهات النفسية بصورة حقيقية لها أثرها وفعاليتها، ويعرفها علماء النفس بأنها «ميل عام مكتسب وثابت نسبياً يؤثر فى دوافع الفرد ويوجه سلوكه» كالميل إلى أشياء أو موضوعات معينة تجعل الفرد يقبل عليها ويحبها أو يرحب بها أو يعرض عنها أو يرفضها، واتجاه التدين من أمثلة الاتجاهات النفسية».

ويرى علماء النفس أن الاتجاه النفسى يتكون من عناصر ثلاثة هى: العنصر الفكرى أو العقيدة ـ العنصرالعاطفى أو المشاعر ـ الميل للتصرف والسلوك بشكل

معين ومايتبغى أن يعرفه المربون والدعاة هو: كيف تتكون الاتجاهات النفسية؟ هناك طرق كثيرة لتكوينها نذكر منها مايلي:

١ـ التقليد والمحاكاة أو تقبل المعايير الاجتماعية وغيرها دون نقد أو مناقشة ويكون ذلك عن طريق الإيحاء وتتجلى هذه الطريقة في مرحلة الطفولة بدرجة كبيرة فالطفل يكتسب أغلب اتجاهاته (ومنها اتجاه التدين كما ذكرنا) عن طريق الأسرة التي نشأ فيها، وهكذا تتضح أهمية الدور الذي تؤديه الأسرة في تنشئة الإنسان وتكوين شخصيته.

٢ـ الانفعالات (الحادة) ولها أثر قوى في تكوين الاتجاهات، فأسلوب التربية الخاطئ (الذي يقوم على العنف مثلا). قد يؤدي إلى تعريض المراهقين لخبرات انفعالية حادة تحولهم عن اتجاه التدين.

٣ ـ وتتكون الاتجاهات وتشكل طبقاً (للمعلومات) التي تتوفر لدى الفرد عن الموضوعات المختلفة، (كالدين مثلاً) أو الأفكار والمذاهب السياسية.. إلخ.

٤ ـ تتأثر اتجاهات الفرد بطبيعة الجماعات التي يتفاعل معها مثل الأسرة وجماعات الأصدقاء وجماعة العمل.

من ذلك يتضح أن الطريق الصحيح لتكوين الاتجاهات النفسية نحو موضوعات معينة كالتربية لايتم أساسا من خلال النصح والإرشاد، وإنما يجب أن يتغلغل في حياة المراهق من الناحية العملية أي من خلال الممارسة الفعلية والخبرة الذاتية والتفاعل الاجتماعي في البيئة المنزلية والمدرسة وغيرها، وفي أثناء الرحلات والأنشطة المختلفة، حيث يمارس المراهق مايستهدف تحقيقه من اتجاهات.

ولما كانت الرغبة في الشيء من أهم الدوافع إليه فإن «الترغيب» يعد من أفضل أساليب خلق الاتجاهات، كما أن القدوة الطيبة ذات أثر كبير في هذا المجال.

أضواء على مشكلات المراهقين:

مشكلة المراهقة والشباب ـ في رأى كورت ليفين Kurt Levin ـ تكمن في أن الشباب لايعرف بوضوح كافٍ من هو وما المطلوب منه وما المسموح له به وما يقبل منه. وهذا مايعكس وضعه كإنسان «هامشى».

أزمة المراهقة وبداية الشباب ـ كما يعبر عنها كل من الدكتورين ـ عزت حجازى ومصطفى سويف ـ هى أزمة نمو أو ارتقاء يحقق الشخص فيها وثبة أو نوعا من الوثبة فى نضوجه، .. بمعنى أن الارتقاء فيها فى اتجاهين فى الآن نفسه: اتجاه «الفردية» واتجاه «الجماعية»، على أن من أهم المشكلات التى تأتى بها بداية الشباب هى مايتعلق بفهم الشباب لما يجرى فى كيانه من تحولات والتكيف معه وقبوله. «أزمة المراهقة وبداية الشباب إذن «خلفة» تامة ومعارضة وتشكك فى القيم السائدة بقدر ماهى نقطة تختلف عندها الخصائص العضوية والنفسية للشخص، وكذلك وضعه فى الجماعة، على نحو تصبح معه أساليب التنظيم والتكيف بين الشخص والذات وبينه وبين الواقع غير ملائمة ولامفيدة، وتظهر الحاجة إلى أساليب تنظيم وتكيف جديدة»[٤].

بيد أننا إذا ألقينا ضوءاً كاشفاً على سمات وخصائص مشكلات الشباب تلك لوجدناها تتمثل فيما يلى:

أولا: مشكلات النمو العضوى

تبرز مشكلات النمو العضوى فى عدة أمور منها السرعة الملحوظة التى تتم بها والتى تحدث عقب فترة من النمو الهادئ الذى لايكاد يلحظه الفرد ولا الآخرون، وعدم التماثل فى نمو أعضاء الجسم المختلفة أو نمو هذه الأعضاء بسرعات متفاوتة («وهو مايعبر عنه عادة فى مثل تلك الحالات بالاضطراب فى النمو» مما يترتب عليه أن الشاب قد لايقبل شكله، ولايقدر على تحقيق التوافق

الحركى لبعض الوقت .. والأخطر من هذا أن استجابة الكبار لهذه التحولات لاتنطوى عادة على تقدير كافٍ لأهميتها ولاتساعد الشباب على فهمها» [٥].

ثانيا: مشكلات النضج الجنسى

يأتى النضج الجنسى فى المراهقة وبداية الشباب بعديد من الحاجات والإشكالات يتعلق بعضها بفهم الشباب لما يجرى فى كيانه، ويتصل بعضها بقبول مايحدث ويرتبط بعض ثالث بضرورة العثور على متنفس للطاقة الجياشة (الجنسية) وأمام عدد ضخم من الحواجز والموانع يبحث الشباب عن حل لمشكلات الجنس دون جدوى.

«فالجنس فى المجتمعات العربية يكاد ينظر إليه على أنه من «المحرمات» فهو ليس من موضوعات الحديث «المحترمة» بين الأبناء والآباء والكبار والصغار بعامة ولاتتعرض له برامج التعليم فى مراحل الدراسة المختلفة ولا تتناوله وسائل الثقافة الأخرى ولا تعرض له وسائل الإعلام القومية إلا بالاستغلال المثير (المسف) ومن هنا تلهب التحولات الجديدة التى يأتى بها النضج الجنسى خيال الشباب وترهق عقله الأسئلة الكثيرة التى تثيرها دون أن يجد من يساعده على فهمها، فضلا عن تقديم العون للتصرف السوى» [٦].

ومن مصادر قلق الشباب وهموم الاعتقاد الذى تدفعهم إليه القيم والممارسات الاجتماعية وهو مايرتبط بذلك أيضا أن الحب يتعارض مع الدين وأنه ليس مجرد (عيب) وإنما هو من (الجرائم) !!.

وبالنظر إلى الإلحاح الشديد والحاجة إلى الحب يعيش الشباب أزمة طاحنة موزعين بين إلحاح عواطف يرونها بريئة قوية وتخويف يصل إلى حد رهيب.. ومن هنا يجد بعض الشباب أنفسهم ضحية نوع من «الشكلية»، إذ يترتب على الإلغاز (الإشكال) الذى يخاطبه الجنس والكف (المنع) الذى تتعرض له معظم

الرغبات الجنسية منذ عملية بزوغها الأولى نتائج خطيرة فى تصور الشباب للجنس واتجاهاته نحو العلاقة بين الجنسين وتصرفاته وسلوكه بإزائها. «وبسبب هذا الإلغاز الذى تحاط به أمور الجنس فى المجتمعات العربية تجهض محاولات الشباب حتى لفهم مايجرى فى كياناتهم، ومن حولهم، وإعداد أنفسهم لممارسة أدوار الراشدين فى هذا المجال بوعى وفهم ومسئولية واختيار» (٧).

وحين لا يجد الشباب من مجتمع الراشدين غير الصد فإنهم يتجهون إلى أية مصادر ترد على تساؤلاتهم.. الخادم أو «الخادمة» فى البيت أو الرفاق - وقد لا تكون رؤيتهم للموضوع ناضجة أو تختلط بالأدب الفاضح «بكل تركيزه على جوانب الإثارة والشذوذ. هذا الموقف من المجتمع تجاه أمور الجنس يضع نسق القيم وأساليب التصرفات فيه فى قفص الاتهام من بعض الشباب» (٨).

ثالثا: مشكلات النضج الانفعالى

فى بداية المراهقة أو ما يسمى فترة الشباب الأولى تأتى مشكلات النضج الانفعالى - خصوصا بالنسبة للإناث - فى قمة قائمة المشكلات النفسية ويترتب جزء كبير منها على شدة القابلية للانفعال التى ترجع فى جانب منها إلى التحولات العضوية والمشكلات الجسمية المختلفة، ولكنها ترجع فى الجزء الأكبر منها إلى عوامل بيئية مختلفة.. نقص تجربة الفتاة ونوع الاستجابة الاجتماعية غير المرضية التى تلقاها أو يرد على تصرفاتها بها وخاصة فى العلاقات بين الجنسين.

ومن الشكاوى التى تتردد كثيراً سرعة البكاء والثورة بدون سبب ظاهر والعناد وحدة الطبع والمزاج والنسيان وأحلام اليقظة والشعور بسوء الحظ وغيرها، وكلها أعراض لمشكلات غير ظاهرة تترتب على تعثر عملية النضوج الانفعالى وعدم ملائمة الاستجابات الاجتماعية لمتطلبات الارتقاء النفسى الاجتماعى وبخاصة

فى مواقف يظهر فيها عجز الفتاة أو إخفاقها فى عمل ما، ومشكلات النضج الانفعالى هى بالطبع نتائج لعلاقات الشباب وتفاعلاتهم الاجتماعية وليست مجرد ملامح فطرية، ويزيد الموقف تعقيداً ـ فى هذا الصدد ـ أن مشكلات النضج الانفعالى هى نفسها عامل من عوامل تأخر الارتقاء النفسى الاجتماعى لأنها تسبب للشباب ـ والفتاة بخاصة ـ حالة من القلق المرهق الذى يؤدى إلى مزيد من المشكلات وبخاصة ما يأتى منها من رد الفعل الاجتماعى غير المتبصر أو الذى لايرحم أحيانا، وحين يحدث هذا التعقيد يؤدى ـ للأسف وبطبيعة الحال ـ إلى عدم الثقة فى النفس والانسحاب ونقص الحماس للعمل وربما يؤدى إلى نوع من اليأس المطلق من جدوى العيش وربما يدفع ذلك البعض إلى التفكير فى الانتحار، فقدنجد فتاة تقول «أود التخلص من الحياة التى ما فيها أحد يستدعينى أن أعيش من أجله أو تقول أخرى أتمنى لو لم أخلق!!

وتتجلى لنا الأبعاد الحقيقية لمشكلات الشباب تلك أو «أزماته» ـ كما يرى البعض هذه التسمية ـ «حين نلاحظ أن ثورة الشباب وتمردهم وعنادهم ليست موجهة ضد الخارج ـ ضد الآخرين والواقع ـ فقط وإنما هى ـ فى جزء كبير منها ـ موجهة إلى ذواتهم فى شكل رفض الذات أو نقص فى تقديرها أو ما إليها، ويحدث هذا بشكل خاص حين يفتقد الشباب التقدير الكافى من الآخرين الذى يعنيه رأيهم فيه أوحين يخفق فى محاولات التكيف الهامة كالدراسة أو الحب أو العمل أو ما إليها» (٩).

ومن ثم فإن من الشكاوى الشائعة من الشباب والفتيات بصفة خاصة الشعور بالخجل الذى يظهر فى شكل ارتباك وتلعثم ثم التوقف عن الكلام أو التصرف وقد يندفع الشاب إلى لوم الآخرين على ذلك فيرده إلى أنه: «لا يجد من يفهمه أو حتى من «يفضى إليه بمتاعبه»، مما يدفع بعضهم إلى الشعور بالوحدة التامة وبالنقص الشديد.

رابعا: مشكلات التغيرات الفسيولوجية:

ومما يزيد من حدة تلك المشكلات أيضا ما يسميه البعض «بأزمة الشباب»، حيث إنه مع التحولات الفسيولوچية ـ الجسمية والجنسية ـ يحدث ما يسميه كارل يونج Carl young «الميلاد النفسى»، ففى تلك المرحلة من بداية الشباب يؤدى النضج الجسمى والجنسى والعقلى بالشخص إلى أن يميز بين الذات والآخرين ويدفعه إلى أن يبالغ فى تأكيد ذاته من جهة والإحساس الحاد بمشكلاته مع نفسه والآخرين والواقع من جهة أخرى، فى حين ينطوى هذا على تحقيق درجة عالية من النضج فإنه يسبب للشخص معاناة نتيجة لوعيه بمشكلاته وحساسيته لها» (١٠) على أن إريك فورم Erik Frimm يرى فى هذا الصدد أن: أزمة المراهقة وبداية الشباب هى أزمة تطل بذوائبها وأذنابها من خلال «أزمة الهوية Identity Crisis التى يترتب عليها عدم اكتمال القدرة على الحب الناضج الذى يتمثل فى الرعاية لموضوع الحب والإحساس بالمسئولية إزاءه واحترامه ومعرفته معرفة كاملة» (١١).

بينما يركز إريسكون Erikson على خطورة ما يسميه «غموض الدور» الذى يصل إلى حد الإحساس بالعجز التام عن عمل أى شىء «محدد» وربما أى شىء على الإطلاق والذى تصحبه عادة مشاعر الحيرة وعدم الاستقرار والاعتماد على الغير وما إليها. وما التوحد المتطرف ـ المرضى ـ مع بعض الأبطال «القدوة» والميل الشديد إلى جماعات الشباب والانصياع لها غير سلوك دفاعى من جانب الشباب المراهقين لإحساسهم بغموض الهوية فى رأى إريكسون، فإذا أخفق فى تجاوز هذه الأزمة ـ وهو ما يحدث بالفعل كلما تعقدت الحياة الاجتماعية وفى ظروف اجتماعية حضارية خاصة ـ فإن الارتقاء النفسى الاجتماعى يعاق أيضا.

وإذا كانت تلك مشكلات المراهقين سواء كانوا من الفتيان أو الفتيات فى تلك المرحلة من مراحل نموهم وفى بداية شبابهم، فإنها تفرض على الأسرة ـ وبصورة مباشرة ـ القيام

بالدور الإيجابى الأمثل فى تناولها لكل تلك المشكلات والتعرض لها بالحلول الشافية بما يشفى غلة الشباب أنفسهم واحدة بعد الآخرى وهو الدور المنوط بالآباء (أمهات ورجالاً) فى عملية التربية والتنشئة الاجتماعية على أسس سليمة. ،هذا ما ستتناوله فى فصل تال.

الخلاصة

نخلص مما سبق إلى أنه تنبثق أنواع مختلفة من السلوك البشرى فى مراحل زمنية مختلفة نتيجة للنضوج، وبهذا فإن الاستفادة من البيئة والتعلم يتوقفان على مدى استعداد الكائن الحى (الإنسان) ونضوجه ومرحلة التطور التى هو فيها، ولهذا يهتم علماء النفس المعاصرون بنفس المسلمة التى نماها المفكر والعالم السويسرى «بياجيه» بأن النمو هو الإنتاج لقوة الاستعدادات الطبيعية ونوعيتها عند الاستجابة للقوى الخارجية وعناصر البيئة بشقيها الاجتماعى والطبيعى، وحاولوا لهذا أن يحددوا المراحل الرئيسية التى تتفتح فى كل منها أنماط سلوكية فريدة عبر دورة هذا الكائن الحى، من فترة الطفولة المتأخرة وحتى مرحلة المراهقة ـ موضوع هذا الفصل ـ (من ٦ ـ ١٢) ومن (١٢ ـ ٢١)، وتعتبر كل مرحلة من المراحل السابقة مركزا لتطورات جديدة فى حياة الكائن البشرى (الفرد) وانبثاقاً لجوانب سلوكية تلمس النمو فى مظاهره وأطواره المتلاحقة، كما يتمثل فى التآذر الحسى الحركى والتفكير والنمو الخلقى الاجتماعى ونمو الانفعالات بصفة عامة.

ومن ثم تجدر الإشارة هنا إلى نقطة هامة هى ضرورة أن تقوم الأسرة ـ إلى جانب المدرسة فى تلك المرحلة: (٦ ـ ١٢) ـ بضرورة تعليم الطفل حل مشكلاته التى تندرج ضمن عدة مبادئ تعليمية أشرنا إليها فى بدايات

الفصل. وتعليم الطفل معناه: تعويده على مواجهته بمشكلات واقعية مناسبة لسنه وبيئته كذلك مواجهة العالم الذى يحيط به مواجهة موضوعية.

أما مرحلة المراهقة (١٢ ـ ٢١) وخصائصها فلعل أبرز ما أشرنا إليه فيها هى سمة البلوغ فالبلوغ إذن هو التطور الجسدى الذى يجعل الفتى قادرا على أن يولد والفتاة قادرة على أن تحمل. وسبب البلوغ هو نمو الجسم ولا سيما الغدد الجنسية، ومن هنا كان مهما جداً بالنسبة للصبى أو المراهق المقبل على البلوغ أن يعلم شيئا عما سوف يحدث له عما قريب، وبالتالى فواجب على الأب أو الأم شرح مسألة البلوغ لأولاده حتى لا يفاجأوا بها، ويعتقد إريكسون فى هذا الصدد أن الأزمة الرئيسية التى تميز المراهقة هى أزمة البحث عن الهوية،كما أن من رأى بياچيه أيضا أن فترة المراهقة تعتبر فترة نضج ونمو فى التفكير.

وقد تناولنا بشىء من التفصيل الخصائص العامة لمرحلة المراهقة. وأعقبنا ذلك بإلقاء الضوء على مشكلات المراهقين التى تمثلناها فى مشكلات أربع هى: مشكلة النمو العضوى ومشكلة النضج الجنسى ومشكلة النضج الانفعالى ثم أخيراً مشكلات التغيرات الفسيولوجية التى تعترى المراهق فى تلك المرحلة من نموه بالذات.

وانتهينا معلقين على ذلك بقولنا: إن تلك المشكلات تفرض على الأسرة ـ وبصورة مباشرة ـ القيام بالدور الإيجابى الأمثل فى تناولها لكونها ملقاة على عاتق هؤلاء الآباء جميعا.

مراجع الفصل الخامس

١ ـ فاخر عاقل(دكتور) : طبائع البشر ـ دراسات نفسية واجتماعية (كتاب العربى) مرجع سابق، ص، ١٠٠.

٢ ـ عبدالستار إبراهيم (دكتور) الإنسان وعلم النفس، ومرجع سابق، ص ١٣٩ ـ ١٣٨.

٣ ـ محمد جمال الدين محفوظ (لواء. أ.ح) مرحلة المراهقة فى التربية الإسلامية (مقال) منشور بمجلة الوعى الإسلامى/ العدد ١٠٠، شعبان ١٤٠١ هـ الصفحات من ١٠٧ ـ ١١٤، والمرجع مذكور فى هامش ص ٨٧ من هذا الفصل.

وكذلك المراجع التالية:

٤ ـ ـ علم النفس تأليف: عبدالعزيز القوصى (دكتور) : طبعة(وزارة التربية والتعليم) ١٩٧٦م ـ ١٩٧٧م، الفصلان العاشر والحادى عشر.

٥ ـ ـ التربية الحديثة (الجزء الثالث) تأليف الأستاذ/ صالح عبدالعزيز، مرجع سابق، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

٦ ـ عزت حجازى (دكتور): الشباب العربى ومشكلاته، الطبعة الثانية، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ـ الكويت (عالم المعرفة) ١٩٨٥ ـ ص ٦١.

٧ ـ عزت حجازى: ص٦٢

٨ ـ عزت جحازى: المرجع السابق، ص ٩٩ وما بعدها، ص ١٠٢.

٩ ـ عزت حجازى، المرجع السابق، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.، ص ١١١.

١٠ ـ المرجع السابق ص ١١٥.

١١ ـ نفس المرجع، ص ١١٨ ـ ١٢١.

الفصل السادس

التربية الصحية للطفل والمراهق

الصحة تاج على رءوس الأصحاء لايراه إلا المرضى

«مثل عربى»

تمهيد:

إذا أردنا أن نتكلم عن دور الأسرة فى مجال الرعاية الصحية والنفسية للأبناء بصفة عامة، وفى طور المراهقة بصفة خاصة، فلعل البداهة تغنى عن الإشارة إلى أن الصحة الفيزيقية لأى فرد أمر مهم وتساويها فى الأهمية صحته النفسية، فالفرد الذى يفقد الثقة فى نفسه وفى الآخرين والذى يسمح لنفسه بالخوف والفزع الدائمين من الشئون اليومية، والذى ينمى فى نفسه الحسد والغيرة والكراهية أو الذى يصبح عدوانياً جداً أو متمركزاً حول ذاته فى علاقاته بمن يحيطون به يكون عبئاً ليس على نفسه فقط، بل أيضاً على المجتمع الذى يعتبر فرداً فيه.

من هنا كانت الحاجة إلى تحديد وبيان دور الأسرة فى مجال الرعاية الصحية والنفسية للأبناء فى مرحلة المراهقة وبداية مرحلة الشباب التى تحدثنا عنها فى الفصول السابقة

من ذلك الكتاب، هذا إلى جانب التأكيد على دور الآباء ـ أمهات ورجالاً ـ فى تذليل العقبات والمشكلات الخطيرة التى بيناها آنفاً، والتى تواجه المراهقين فى أحرج فترات عمرهم ونموهم المختلف.

وثمة أهداف ثلاثة فى مجال الصحة النفسية يقع على عاتق الأسرة العبء الأكبر فيها بالنسبة للأبناء وهى:

١ ـ تنمية وفهم العلاقة التى توجد بين تطور الشخصية وخبرات الحياة فى المجتمع.

٢ ـ المحافظة على الصحة النفسية للفرد والمجتمع.

٣ ـ اكتشاف واستخدام الأساليب التى من خلالها يمكن تقديم المساعدة لهؤلاء المرضى النفسيين، وتقع المسئولية على كل الأفراد الذين يعملون مع الصغار والأبناء جميعهم فى أن يهتموا بمسألة منع حدوث المرض النفسى. «إن الآباء ورجال التعليم وعلماء الدين والعاملين فى مجال الشئون الاجتماعية فى حاجة إلى معرفة الخطر الكامن فى الظروف البيئية الحالية على الصحة العقلية للأفراد، وعليهم أن يكيفوا الظروف للصغار الذين يعملون معهم كما يجب عليهم مساعدة الصغار على أن يتوافقوا مع العوامل التى لايمكن أن تتغير وبذلك تصبح الإصابة بالمرض النفسى عند الحد الأدنى من الحدوث» (١).

إن الصحة النفسية والبدنية أهم شيء فى حياة الإنسان، ذلك أنه بغيرها لا يستطيع تحقيق أماله، ولا يستطيع الإنسان أن يعمل ولا أن يؤدى ما عليه من واجبات أو التزامات، ومن هنا قيل المثل العربى المعروف:

(الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى).

ومفهوم الصحة لا يقتصر ـ كما قد يتصور البعض ـ على الصحة الجسمية، بل يشمل الصحة الجسمية والنفسية والعقلية أيضا، وهناك علاقة وثيقة بين هذه

الجوانب، إذ أن الصحة الجسمية تؤثر على الصحة النفسية والعقلية والعكس صحيح أيضا.

والرعاية الصحية للأسرة بالنسبة للأبناء ـ لا سيما فى مرحلة المراهقة وهى الفترة الحاسمة والحساسة من أطوار النمو عندهم ـ لا تقف فى تربية هؤلاء الأبناء عند مرحلة الطفولة كمرحلة معينة من مراحل نموهم فحسب، وإنما تمتد لتشمل جميع مراحل النمو وأطواره الأخرى.

خصائص التربية الصحية ووسائلها:

على هذا الأساس نستطيع أن نتبين خصائص التربية الصحية ووسائلها فى تلك المرحلة وتتركز فيما يلى:ـ

١ ـ تكوين الوعى الصحى للأبناء بتبصيرهم بأسباب الأمراض المختلفة بالوسائل العلمية الحديثة وتنفيرهم من القذارة، وذلك بإظهار الجراثيم الموجودة فيها بالمجهر والآلات الحديثة وبعرض الأفلام والإعلانات الصحية فى المدارس والنوادى الرياضية.

٢ ـ إلزامهم بالسلوك الصحى وفقا للوعى والمعرفة الصحية فى البيت والمدرسة والمجتمع، حتى ينشأوا عليه ويعتادونه.

٣ ـ تكوين الشعور بالمسئولية الصحية عن أنفسهم وغيرهم فى البيت والمدرسة والمجتمع، وذلك ببيان كيف أن الإنسان بإهماله المبادئ الصحية يكون سبباً لمرضه ولمرض غيره، وكيف أن بعض الأمراض تحصد الأفراد وتهدم البيوت والأسرة، كما ينشأون على ممارسة هذه المسئولية فيما بينهم، فيأمرون بالالتزام بالمبادئ الصحية إذا وجدوهم يهملونها وينهونهم عن الخروج عليها فى المدرسة والبيت.

٤ ـ يجب الاهتمام بالتغذية اللازمة والنظامية؛ لأن نقص الغذاء فى هذه المرحلة يؤدى إلى النقص فى النمو الصحى.

٥ ـ التشجيع على الرياضة والنزهة، وذلك لما للرياضة البدنية من دور فى النمو وتنشيط الدورة الدموية، وكذلك على النشاط الذهنى، وإراحته من عناء التفكير فى بعض الأمور الأخرى.

٦ ـ ومن مبادئ الصحة العقلية أيضا، إشباع الحاجة إلى الإطلاع وتجنيب الأبناء الوقوع فى التناقضات، ذلك أن التناقض بين القول والفعل فى البيت قد يوقع الابن فى حيرة من أمر نفسه، أى الموقفين يقف؟ وأيهما يدع!!

ولهذا فمن الخطأ الشنيع أن ينهى الآباء أبناءهم عن فعل شىء وهم يفعلونه.

٧ـ تنمية الشعور لدى الأبناء بالمسئولية الدينية، وبيان الأضرار والأمراض الناتجة عن أكل المحرمات التى نصت عليها شرائع الدين مثل أكل لحم الخنزير ولحوم الحيوانات المتوحشة، ومثل الخمور والمخدرات ومخاطر جماع الحائض (بالنسبة للشباب المتزوج).

٨ ـ إن المراهق شخص ذو حوافز قوية عادة وبمدى ما يكون التعبير عن هذه الحوافز ساراً أو مؤلماً لنفسه تستثار فيه حالات من الصراع العاطفى والبهجة الجنسية والتعاطف والعجب والتفاؤل والخوف والقلق والحيرة والندم والغضب والثأر والغيرة والتأنيب. «ومن الوظائف المهمة لتوافق المراهق التدريب التدريجى على التحكم ليس فقط فى التعبير الظاهر عن حالته الانفعالية، ولكن أيضا فى شدة الحالة ذاتها، وإذا كان يطمح فى أن يصبح راشداً ذا تحكم انفعالى، فعليه أن يتعلم ألا يأخذ عواطفه بشكل خطير وسريع»[٢].

٩ ـ «ينبغى أن نربى الشباب على الإسراع إلى الأطباء عندما يمرضون أو عندما يشعرون بحالات مرضية، لأن الأمراض فى بدايتها تكون سهلة العلاج بصفة عامة، ولكن عندما تكون مزمنة يصعب علاجها إذا وصل الداء إلى درجة من التمكن قد لا يمكن علاجه.،كذلك ينبغى أن نكشف للمراهقين عن علامات الأمراض المختلفة ليعرفوا العلامات الدالة على خطورة الأمراض، حتى إذا ما شعروا بها بأنفسهم يسرعون إلى الأطباء» (٣).

١٠ ـ يجب تكوين بصيرة علمية عن طريق تحقيق الصحة الكاملة: الصحة العقلية والنفسية والجسمية والعضوية... الخ، وذلك فيما يتعلق بحياة المراهقين الشخصية والاجتماعية، وهو فى الوقت نفسه من أهم خصائص التربية الصحية ووسائلها التى يجب على الأسرة اتباعها مع المراهقين، لمراعاة ظروف نموهم فى تلك المرحلة المهمة والحساسة.

التربية الأخلاقية وأثرها فى حل مشكلات المراهقين

التربية فى جوهرها عملية نفسية واجتماعية تصدر أصلا عن شخصية الإنسان، باعتباره جسماً وفكراً ووجدانا وإرادة وخلقاً، وتتحقق على خير وجوهها إذا شملت تلك النواحى وعملت على تنميتها وتكاملها وتفهم طبيعتها بالاستناد إلى الفكر الإنسانى وتطور العلم الحديث فى مجال العلوم السلوكية خاصة، وإلى الممارسة الواقعية والتجريب وتحتاج إلى سند من التحليل الفلسفى، والتحليل العلمى يعنى أولاً: الأهداف والغايات ويعنى الثانى: بالأسباب والوسائل والمسلمات.

وتمتاز التربية الحديثة بالشمول ،حيث تتناول جسم الطفل وعقله وروحه ونفسه، حتى يشب شخصية ناضجة متكاملة جسميا وعقليا واجتماعيا وخلقيا وروحيا.

السبيل إلى التربية القويمة للمراهق

وتقتضى التربية القويمة للمراهق دراسة واعية لخصائص مرحلة المراهقة وسماتها الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية، والتعرف على أسباب مشكلات المراهق الانفعالية، لكى يصبح المربون على بينة من الطابع العام لميوله وغرائزه ودوافع سلوكه، فهذا هو المدخل العلمى الصحيح لاختيار أسلوب التربية المناسب الذى يعاون المراهق، كما يعاون أبويه القائمين على تربيته على عبور تلك المرحلة الحرجة بسلام، ولقد أوصى عقبة بن أبى سفيان مؤدب ولده (أى القائم على تربية أولاده) فقال: (كن لهم كالطبيب الرفيق الذى لا يعجل بالدواء حتى يعرف الداء). وإذا عرفنا أن مرحلة المراهقة هى مرحلة التكوين الحقيقى للاتجاهات النفسية أدركنا أن المراهق لوترك وشأنه فى تلك المرحلة الحرجة والخطيرة، فسوف يكون وحيداً فى مهب الرياح والعواصف الهوجاء، التى قد تستغل ما هو واقع فيه من فراغ فكرى وتربوى ودينى، فتملأ قلبه ونفسه بالمعتقدات الفاسدة والأفكار الضالة التى يكاد عقله الناشئ يتأثر بها.

وتقوم التربية الأخلاقية التى تضطلع بها أسر المراهقين فى مرحلة المراهقة ذاتها والتى تعينهم على حل مشكلاتهم النفسية والاجتماعية والخروج منها بسلام.. تقوم على عدة قواعد أهمها ما يلى:

١ ـ التوافق الاجتماعى للمراهق.

٢ ـ التربية الجنسية (التوافق الجنسى).

٣ ـ تنمية الضمير الدينى لدى المراهق.

٤ ـ غرس الشجاعة الأدبية فى نفسه.

وسنتناول بيان كل عنصر من تلك العناصر على النحو التالى:

التوافق الاجتماعى

مع بداية المراهقة يبدأ الأبناء فى الأسرة توافقاً اجتماعياً جديداً ومختلفاً، فتنمو لديهم ميول قوية للتضحية من أجل الغير أو ميول دينية، وقد تراودهم الرغبة فى إصلاح العالم، وأن يصبح المراهق شهيد الرخاء الاجتماعى... الخ. وإزاء هذه الصراعات النفسية التى تنتاب المراهق، فإنه يجب العمل من جانب الآباء على الحد منها وتهدئتها بإيجاد كثير من الفرص له للانخراط فى دراسات تكون أكثر جدوى، وتثير قدراته أو إشراكه فى ممارسة أعمال وأنشطة أخرى جديدة بحيث تهدف إلى الإعداد لتحمله مسئوليات مرحلة الرشد، وبهذا الشكل تلعب التربية الأسرية دوراً إيجابيا فى حياة المراهق مما يعينه على تجاوز مرحلته تلك وحل الكثير من مشكلاته فيها.

التربية الجنسية (التوافق الجنسى)

ويقصد بها تلك التربية التى تمد الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصحيحة والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية بقدر ما يسمح به النمو الجسمى والفسيولوچى والعقلى والانفعالى والاجتماعى، وفى إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية السائدة فى المجتمع، مما يؤدى إلى حسن توافقه فى المواقف الجنسية، ومواجهة مشكلاته الجنسية مواجهة واقعية تؤدى إلى الصحة النفسية.

ومن المسلم به أن النمو الجنسى إذا أحيط بغلاف من التحريم والتكتم والتمويه، وإذا أهمل الآباء والمربون واجبهم فى التربية الجنسية للأبناء والبنات فإن هؤلاءالمراهقين يتجهون إلى مصادر أخرى (على نحو ما ذكرنا فى مشكلات المراهقين من قبل) لإشباع حاجاتهم إلى المعرفة فى هذا الشأن، فقد يلجأون إلى غير أهل العلم والدراية والأخلاق للحصول على هذه المعلومات التى

تتعلق بالناحية الجنسية لهم، مما يؤدى إلى اكتسابهم معلومات خاطئة والوقوع فى براثن الإثم والخطيئة المنكرة والانزلاق الجنسى، وما يرتبط به من خوف وقلق واضطرابات نفسية مختلفة.

ومن ثم يجب أن تهدف التربية الجنسية أو (التوافق الجنسى) للأبناء داخل الأسرة ، وفى المجتمع عامة إلى ما يلى:

١ ـ تزويد الفرد ـ الفتى والفتاة ـ بالمعلومات الصحيحة اللازمة حول مدلول النشاط الجنسى.

٢ ـ إعلام المراهق بالفروق الفردية بين الأفراد بعضهم البعض (الفتى والفتاة)، وذلك عن طريق تشريح وظائف أعضاء الجهاز التناسلى ضمن معرفة باقى أجزاء وأجهزة الجسم عند الرجل والمرأة.

٣ ـ التعريف بالأمراض التناسلية ومدى خطورتها كجزء من الأمراض المُعدِيَة كالزهرى والسيلان... وما إلى ذلك.

٤ ـ التعريف بالمخاطر والأضرار الصحية والنفسية والاجتماعية التى تنشأ نتيجة الانحرافات الجنسية التى قد يقترفها المراهق، كالعادة السرية أو ما يعرف «بالإشباع الجنسى الذاتى».

٥ ـ بيان أضرار أمراض الشذوذ الجنسى والزنا، وغيرها من الأمور التى تتعلق بالناحية الجنسية لدى المراهقين.

٦ ـ إعلام الفتاة بظاهرة النضج الجنسى الناتجة عن نمو الغدد الصماء المسئولة عن النمو الجنسى وإفرازات الهرمونات المنشطة له من خلال دورالأم فى ذلك، وتعريفها أن هذه التغيرات الفسيولوچية والانفعالية والاجتماعية هى تغيرات لا إرادية فقط، وإنها علامة الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الأنوثة، ومن ذلك ما يتعلق بظهور (العادة الشهرية).

إن هذه الظواهر الطبيعية عندما يقدمها الآباء للأبناء ـ أولاداً كانوا أو بنات بحكمة وتفتُّح، وبطريقة سهلة ليست كأسوار يجب أن تخجل منها الفتاة أو الابن، فسوف تصحح لديهم الأخطاء عن الحياة الجنسية ومشكلاتها.

على أن المراهق كثيرا ما يتأثر فى سلوكه الاجتماعى بخبرات طفولته الماضية وبالجو المحيط به فى مراهقته، من خضوع أو تحرير ، فالفرد المدلل فى طفولته يظل طفلا فى مراهقته، ذلك لأن الحماية الزائدة له والمغالاة فى مدحه ومساعدته فى كل صغيرة وكبيرة من الأمور التى تجعله يشعر بالنقص عندما لا تلبى رغبته ويسفر ذلك عن تكيف اجتماعى خاطئ وشخص مريض.

ومن الأخطاء الشائعة فى تربية الأبناء تركيز الآباء والأمهات على جانب واحد من جوانب شخصية الابن ونعنى به الاهتمام والإلحاح عليه لتحصيل الدراسة أو المذاكرة والدرس فقط، وعلى حد قول البعض فى انتقاده لهذا (الأسلوب الأسرى) «.... لقد أصبحت القيمة التربوية الوحيدة المتفق عليها فى مجتمعنا لنجاح التربية أو فشلها لنجاح الشاب أو الفتاة أو فشلهما هى موقفه فى الثانوية العامة وبالضبط مجموعه، فليفعل الولد أو البنت أى شيء مادام سيأتى بمجموع هائل فى الثانوية العامة، ولو على حساب القيم والأخلاق والمثل العليا. تصور الكارثة أن يصبح (المجموع فى الثانوية العامة) هو المقياس (التربوى) الوحيد فى حياتنا!!»[٤].

تنمية الضمير الدينى لدى المراهقين

ثبت لنا أن الضمير الدينى من أقوى العوامل التى تساعد المراهق على مواجهة نوازع المراهقة واضطراباتها الانفعالية، وخير وسيلة لذلك تنمية هذا الضمير، لأنه هو الذى يحقق للمراهق إحساسه بذاتيته واستقلال شخصيته، فيندفع إلى أداء واجباته على أكمل وجه معتمداً على قوته الذاتية، وليس على قوة خارجية، ومن أهم عوامل النجاح فى التربية الأخلاقية القويمة التى تعمل

على حل مشكلات المراهقين توفير المناخ والروح الديني، ممثلا في صلاح الوالدين والكبار في الأسرة والمربين وقيامهم بفرائض الدين وبعدهم عن المنكرات والآثام والتزامهم حدود الفضيلة والأدب وتوفيرهم الرعاية والحنان للصغار و تعهدهم بالتعليم وتلقينهم مبادئ الدين الحنيف في القالب المناسب لنموهم وغرس بذور الاعتقاد والإيمان في نفوسهم.

ومن الثابت علمياً ـ على حد قول اللواء جمال الدين محفوظ ـ أن الطفل الذي ينشأ في بيت متدين يبدأ حياته محصنا من كثير من الأمراض السلوكية والفكرية ويتميز في مرحلة المراهقة بمجاهدة النفس وعدم الاستسلام لشهواتها ونوازعها الضارة، وتلك ولا شك مسئولية الآباء والأمهات في أسرهم وهي مهمة لايحملها عنهم أحد لأن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع حتى يُسأل الرجل عن أهل بيته.

غرس الشجاعة الأدبية في نفس المراهق

لما كانت الرغبة في تأكيد المراهق ذاته أمراً أشد حيوية وأكثر نفعا عنده، لذلك يجب على الآباء تعويده وتدريبه على ممارسة النقد الذاتي بميزان التربية الأخلاقية والقيم العليا محققا بذلك رغبته في هذا التأكيد من جهة واعترافا منها كأسرة ومجتمع بقدرته على التمييز بين الخطأ والصواب بهدى تفكيره، وهذا مما يتعلق بالتربية الأخلاقية ودورها في حل مشكلات الطفل والمراهق.

الخلاصة

«الصحة تاج على رءوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى».. بهذا المثل العربي المعروف، نستطيع أن نفهم أين يكمن دور الأسرة في مجال الرعاية الصحية والنفسية للأبناء.

ويتضاعف هذا الدور - على الأخص - فى مرحلة المراهقة، فالصحة الفيزيقية (العضوية) لأى فرد أمر مهم وتعدلها فى الأهمية صحته النفسية. إن الصحة النفسية والبدنية أهم شيء فى حياة الإنسان، ذلك أنه بغيرها لا يستطيع تحقيق آماله وبدونها لا يتأتى له أداء ما عليه من واجبات والتزامات.

وقد تكلمنا هنا عن خصائص التربية الصحية ووسائلها التى باتباعها ومراعاتها من جانب الآباء تتحقق كذلك الصحة النفسية للأبناء أنفسهم، ولم تخف الإشارة إلى أثر التربية الأخلاقية فى حل مشكلات المراهقين وبيان المحاور الأربعة التى تدور حولها عملية التربية الأخلاقية للجنسين.

مراجع الفصل السادس

١ ـ فاروق عبدالفتاح (دكتور) علم النفس التربوى، دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨١، ص٦١٥، ٦٢٠

٢ ـ مقداد يالجن (دكتور): التربية الصحية فى ضوء الإسلام، بحث منشور بمجلة (المسلم المعاصر) العدد ٣٢ ـ ١٤٠٢هـ ص. ١٠ وما بعدها.

٣ ـ عبدالقادر يوسف (دكتور): حول النظرية العربية فى التربية، بحث منشور بمجلة (المستقبل العربى ـ مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ـ لبنان) السنة الرابعة العدد ٣٦/ ١٩٨٢م ص ٦٦.

٤ ـ عزت حجازى (دكتور): الشباب العربى ومشكلاته (عالم المعرفة)، مرجع سابق ص ١٧١.

الفصل السابع

التطبيع الاجتماعي في الأسرة

تمهيد

يعتبر التطبيع الاجتماعي للطفل وظيفة أساسية من وظائف الأسرة الاجتماعية، فإذا كانت الأسرة تعمل على الاستمرار المادى للمجتمع بإمداده بأعضاء جدد عن طريق التناسل ـ رغبة منها فى المحافظة على كيانه العضوى ـ فإنها تتولى أيضا الاستمرار المعنوى له وذلك بتأصيل قيمه ومعايير سلوكه واتجاهاته وعاداته وتقاليده فى أطفاله، وبهذا تحفظ كيانه الثقافى والاجتماعي.

على أن الالتزام ينشأ أولا فى نفس الطفل، فعالم الطفل هو عالم الضرورة، والضرورة تعنى أن الالتزام فى نفس هذا الطفل لايظل وحده المسيطر على عالمه الخاص، فما أن يبدأ القدرة على الحركة حتى يحس بالرغبة فى التحرر من القيد، والتحرر يبدأ انطلاقه من عضلات الجسم ثم تتسع دائرته حتى يصبح فى نهاية الخط تحرراً روحياً وفكريا شاملا لكل المعنويات، فثمة «سلبية» تحدث إذن توجب الموازنة، فلا تصل إلى الضعف المعيب وانعدام الشخصية (أى منعها من الانحراف).

فالإنسان ـ كما يقول البعض ـ «ليس أحادى النزعة فى أى شأن من شئون كيانه. فمن ألوان الازدواج فى طبيعته أن فى كيانه استعداداً للسوء واستعداداً للانحراف، ومن أجل ذلك يحتاج إلى التقويم والتهذيب ليستقيم وضعه مع الاستعداد الآخر.. استعداد الانحراف»[1].

ولا خلاف بين دارسى النمو جميعا أن البيت من بين المنظمات الاجتماعية كلها وأكبرها تأثيراً وأبقاها أثراً فى نمو الطفل. «فالأسرة هى التى تمد الطفل بالتراثين البيولوجى والاجتماعى اللذين يطلقان ملكاته وقواه، كما أنها أول مجال تشبع فيه حاجات الطفل الجسمية والنفسية، ومن الناحية الاجتماعية (يورث) الآباء أبناءهم خبرات سابقة كثيرة على النحو الذى وصلت إليهم به هذه الخبرات، والأبناء من جانبهم يتمثلون هذا التراث فى ملاحظة وتقليد اتجاهات آبائهم وعقائدهم وطرق تفكيرهم ومعيشتهم»[2].

ويؤكد «أرنولد جزل» Arnold Gezel المعنى السابق لضرورة استدماج الطفل لثقافة المجتمع الذى يعيش فيه حيث يقول: «وبينما الطفل ينمو ينبغى أن يطبع بالطابع الاجتماعى، إذ بطريقةٍ ما ينبغى للفرد ألا يحافظ على وجوده الحيوى فحسب، بل لابد له من أن يصير شخصاً بين غيره من الأشخاص، فعملية التطبيع الاجتماعى ـ بهذا المعنى ـ عملية تكيف الطفل فى بيئته الاجتماعية وتشكيله على صورة مجتمعه وصياغته فى القالب والشكل الذى يرتضيه»[3]. فهى عملية تربية وتعليم تضطلع بها الأسرة والمربون بغية تعليم الطفل الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج فى ثقافته والخضوع لالتزاماته ومجاراة الآخرين بوجه عام.

فالأسرة بصفتها هذه تعتبر المحضن الاجتماعى الذى تنمو فيه بذور الشخصية الإنسانية، وتوضع فيه أصول التطبيع الاجتماعى بل تتحدد فيه ـ كما يذهب «كولى ـ Coly» الطبيعة الإنسانية للإنسان، ويتشكل الوجود البيولوجى للجنين فى رحم الأم، «ويتشكل الوجود الاجتماعى للطفل فى رحم الأسرة

وحضنها»[٤]. على أن هناك عاملين يؤثران على ذلك التفاعل الاجتماعى فى الأسرة وعلى نوع ودرجة تأثر الطفل به أثناء تطبيعه الاجتماعى وهما: الطبقة أو الفئة التى تنتمى إليها الأسرة ثم حجم الأسرة.

فالأنثربولوجيون ـ المحدثون بخاصة ـ يرونها الوسط الذى يتحقق من خلاله دور الحضانة فى تشكيل الشخصية الإنسانية «وعلماء الاجتماع، أو معظمهم، يردون صياغة الشخصية إلى الوسائط الاجتماعية والأسرة من أهمها. وعدد من علماء النفس يتصورون بزوغ الشخصية من خلال العلاقة بين الفرد والوالدين»[٥]

التطبيع من خلال شخصية الأبوين

ليس من العلاقات الإنسانية بين شخصين مثل تلك التى بين الوالد والولد (أبا وأما وبنتا) فى نطاق الأسرة، خصوصاً فى السن المبكرة، ولا من أماكن الحياة ونمو الشخصية كالبيت فى أثره على الصغير لما للعلاقات فى هذا المكان من طول مواجهة face to face مهما طرأ على الأسرة من تغيرات، ورغم كل شىء يستمر الوالدان فى أداء الأبوة والأمومة والقيام بمختلف الأدوار التى تتطلبها منهما استمرارية الحياة وصنع الأجيال الأب: إلى جانب تدبير الطعام والمأكل والملبس ونفقات التعليم ومصروفات الترويح والانتقالات.. الخ. فإن عملية إشباع الحاجات الاجتماعية والنفسية الأخرى هامة ،كالرقابة على سلوكهم والمسئولية عن تصرفاتهم فى الجيرة والشارع والمدرسة، وكذلك اصطحابهم للنادى أو النزهة آخر الأسبوع أو سفرهم خلال العطلات إلى القرية أو الشاطىء.. إلخ، ذلك من الأمور.

أما الأم: فهى تلهث ـ بعاطفة الأمومة وحب الإنجاب ـ فى وظائفها التقليدية، وهى رعاية الأبناء وإطعامهم وتنظيفهم وصحتهم والسهر على راحتهم وتخفيف متاعبهم ومواساتهم وتقوية إرادتهم. إن جدول أعمالها اليومى منذ

تستيقظ قبل الجميع لتوقظهم وتحثهم على تدارك أوقاتهم وتبادل أفكارهم وعدم نسيان أهواتهم.. إلى أن تلقاهم عائدين للغذاء أو العشاء وسهرة المذاكرة أو الاسترواح، فإعدادهم للنوم وقد تستيقظ هى وسط ساعات نومها لإرضاع وليد أو مداواة عليل أو إلقاء نظرة على غطاء نائم... جدول أعمال ملىء بالفدائية والتضحية بكل ما تحمل الكلمة من معان ودلالات.

«وهكذا ـ على هذا النحو تظل الأسرة مسرح التفاعل Scene of inter-action ـ على حد تعبير كمال دسوقى ـ الذى يتم فيه النمو والتعلم والعالم الصغير للطفل الذى به تتكون خبراته عن الناس والأشياء والمواقف، كما يظل البيت حمى الطفل وملاذه الذى يلجأ إليه بلهفة وتعلق»[٦].

ومن ثم يقع العبء الأكبر على الأسرة حيث يجب أن يتعلم الأبناء من خلالها كيف يواجهون مشكلاتهم وكيف يتعاونون مع زملائهم أو يتنافسون، ويجب أن يواجه الوالدان نزعات الأبناء العدوانية وصرخاتهم الانفعالية بالإرشاد والتوجيه السليم حتى يمكن توجيه طاقاتهم والاستفادة منهم على نحو مرضٍ. وتجدر الإشارة هنا إلى أن من بين الدوافع التى تدفع الأبناء إلى الغضب والثورة الانفعالية غيرتهم من أشقائهم وإخوانهم الذين يكونون مؤثرين عليهم من قبل الوالدين فى بعض المواقف، أو ما يعانونه من قسوة والديهم فى معاملتهم أو تدليلهم التدليل الزائد الذى يضر بهم فى كثير من الأحيان.

فحماية الوالدين الزائدة بين الوالد والصغير تؤدى إلى استطالة رعاية طفولته ومنع اعتماده أو تعويله على نفسه Self-reliance، ثم فرط تحكم الوالد أو رقابته، ولايسمح الآباء المبالغون فى الحماية لأى ميل تنافسى أن يتدخل فى واجباتهم الأبوية، كما يتنزلون بميولهم الأخرى إلى أدنى حد إلى جانب أنها تنمى الاعتمادية الزائدة (السلبية) فى الصغير، فالميول العصبية كالقابلية للإثارة،

عدم الاستقرار على حال، وانعدام التركيز، كثيراً ما يكون شائعاً لدى الصغار المبالغ فى حمايتهم، والغالب أن يكون هؤلاء الصغار سمانا، وسيماهم عدم النضج العقلى، فنمط شخصيتهم المميز يكشف عنه انخفاض مستويات قوة الأنا والطموح وتقبل الإحباط ،ويظهر عليهم الكثير من استجابات الانسحاب وانعدام التحكم الانفعالى ورفض المسئولية علناً، كما يبدو عليهم أنهم خائفون من أن يكبروا فليس لهم ثقة فى قدراتهم وما أسهل ما يتأثرون بالجماعة فيعتمدون عليها ويتواكلون وهم حساسون بشكل مفرط.

فليس المقصود إذن هو مجرد إشباع حاجات الأبناء من قبل الوالدين إشباعاً مطلقا دون قيود، وإنما المقصود هو مراعاة كافة الجوانب الأخرى المتعلقة بعملية التطبيع الاجتماعى الأمثل، ومن ثم تبدو لنا أهمية الحديث عن الثواب والعقاب وما لهما من أثر مهم وكبير فى عملية التطبيع الاجتماعى للأبناء داخل الأسرة.

فلسفة الثواب والعقاب فى التطبيع الاجتماعى

التأديب هو نهج المجتمع فى تعليم الصغار السلوك الأخلاقى الذى ترضى عنه الجماعة، وهو يهدف فى حقيقته إلى الانضباط والامتثال إذا أحسن استخدامه من جانب المضطلعين به فى الأسرة (الوالدين) أو الكبار بوجه عام.

فهو بمثابة أداة المجتمع الضابطة لتنشئة الصغار على السلوك الأخلاقى الذى تفرضه الجماعة، أو قيم المجتمع نفسه، وأنه «العملية التربوية لتدريب وتنشئة الصغار التى تساند النمو والارتقاء، وإنما يلزم التأديب لتقويم اعوجاج النمو (السلوكى) أو انحراف سيره عن المقنن أو المعيار، فالتأديب الإيجابى يؤدى للدافعية من الداخل لدى الأبناء الموقع عليهم هذا الأسلوب التربوى والامتثال والانضباط طواعية ومن الباطن»[٧]. ومن ثم فعادة ما نجد الوالدين ـ مثلا ـ

أثناء تعاملهما المباشر مع أحد الأبناء يستعملان معه طريقة الثواب أو المكافئة على ما يصدر منه من سلوك مرغوب فيه أو أن يوقعا عليه العقاب إذا هو أتى «ممنوعاً» أو «منكراً من القول»، باعتبار أن هذا سلوكا اجتماعياً غير مرغوب فيه، ولاشك أن هذا الأسلوب العقابى الذى يحل بهذا الولد أو ذاك من قبل الهيئة الاجتماعية المسئولة، يعكس فى طياته أثراً من التضجر والتوتر والضيق الذى يصيب بعض الأبناء ويحل بنفسياتهم.

ولما كانت أساليب التطبيع الاجتماعى - فى هذا النسق - تتضمن تعطيلا أو كفا لبعض نزعات الأبناء وحاجاتهم من جهة، كما تتضمن توقيع ألوان مختلفة من العقاب والإيلام نتيجة لذلك، من جهة أخرى، فإن من الطبيعى أن تترك عند الابن آثاراً لجملة من الانفعالات النفسية: الكراهية، الرفض، السلبية نحو الأشخاص الذين هم مصدر هذا الإحباط وهذا الألم المثير لهم.

من هنا فإن الإجراء التأديبى فى ظل فلسفة الثواب والعقاب من منظور التطبيع الاجتماعى للأسرة - لكى يبرر ضرورته - ينبغى أن يخدم غرضاً له فائدته، لا أن يتجه إلى أن يصبح مصرفا لشعور المؤدب بإهانة كرامته أو تصريف انفعالاته. إن هدف التأديب ليس أن يجعل الطفل يطيع، وعلى الوالد أن يتعلم تقبل الفشل فى التعليم وسوء سلوك الصغير من غير أن يحس بإهانة شخصية من جانبه، فليس سببا كافيا للتأديب قول المؤدب «إنه لن يفلت من يدى بفعلته هذه»!

من أجل ذلك فإن على الوالدين فى هذا الخصوص مراعاة ألا تترك مسألة العقاب التأديبى آثاراً جانبية مزمنة تعشش فى نفس الابن، أو ترسب فى جنباتها الشىء الذى يتمثل فى تجنبها زيادة تعقيد ردود الفعل، أو زيادة عمقها وحدتها لمواجهة مثل تلك الآثار النفسية فى شخصية الابن وحياته.

أسس التأديب الصحيح:

وقوام التأديب أساساً تكون العادات، كما أن مبادىء تعلم التهذيب والتأديب هي ذاتها المبادىء الموجودة بتكوين العادات، فلكي يكون التأديب ناجحا ينبغي أن يقوم على أسس هي:

أولاً: القيم بمالها ـ في السن المبكرة خصوصا ـ من قوة غرس السلوك المرغوب فيه والحد من السلوك غير المطلوب.

ثانياً: ثبات مبادئ التأديب بمالا يجعل الصغير في حيرة من أمره لايدرى ماذا يفعل ولا من يطيع.

ثالثاً: العقاب وسيلة ناجحة لاستبعاد السلوك غير المرغوب فيه ومنع تكرار الوقوع في الخطأ إذا كان العقاب خفيفا لايعقد أو يصدم، معجلا لايدع مجالا للتبرير أو الاحتيال، مسببا يربط في ذهن المعاقب استحقاقه للعقاب على الخطأ بدلاً من أن يرتبط في الذهن بقسوة الوالد أو تسلطه أو كراهيته للصغير، وأخيرا فالثواب أساس تأديبي له فائدته في تثبيت السلوك المرغوب فيه وتعزيز السلوك الذي يريد المؤدب تدعيمه.

أما طرق التأديب أو التهذيب أو التعويد فهي لاتخرج عن الثلاث المعروفة:

الاستبدادية، والديمقراطية، والتساهلية أو السماحية. Permissive ومعروف أيضا من دراسات القيادة في علم النفس الاجتماعي، كما في سيكلوجية التعليم والتعلم. «إن الطريقة الديمقراطية أكثر هذه الطرق الثلاث نجاحًا وأحسنها نتائج في تحقيق الأهداف، إذ التساهل والتحكم أو التسلط طرفان متطرفان من التأديب، وأسوأ منهما التذبذب بين الشدة واللين حينا من جانب

أحد الأبوين أو الآخر أو فيما بينهما، ولاينجم عن عدم الثبات على المبدأ التهذيبي فيهما إلا مخالفة الصغار وتعلم الكذب والغش والسرقة والاحتيال والتخريب والمروق على الآداب جملة واحدة»[٨].

الخلاصة

مما سبق عرضه فى صدر الصفحات الأولى من هذا الفصل يبدو لنا الدور الذى تلعبه الأسرة فى عملية التطبيع الاجتماعى لتنشئة الأبناء على أسس سليمة والذى يتمثل فى النقاط التالية.

١ ـ إنها الجماعة التى يرتبط بها الفرد عادة بأوثق العلاقات وأعمقها وأقربها صلة إلى نفسه(٩).

٢ ـ إنها تكاد تحتكر التأثير فى ارتقاء الفرد فى مرحلة الطفولة، وهى من أكثر مراحل حياته أهمية، لأنه يكون خلالها أكثر قابلية للتشكيل والتنميط الاجتماعى.

٣ ـ إنها الجماعة الوحيدة التى قد يقضى الفرد فيها فترة حياته كلها منذ ولادته وحتى الموت.

٤ ـ إن تأثيرها على الفرد لايقتصر على جانب من جوانب الشخصية كما يحدث فى معظم الجماعات الأخرى، كجماعة اللعب، أو الجماعة الثانوية.. الخ. ولكنه يمتد ليشمل كل أبعاد الشخصية ذاتها.

فالأسرة باعتبارها «وكالة تطبيع اجتماعى للطفل ـ على حد تعبير الدكتور سيد أحمد عثمان تقوم بدور له أهميته وخطره، على الرغم من التغيرات التى

طرأت عليها فى العصر الحديث من حيث بنيتها وحجمها ووظائفها.. وإن للعلاقات والتفاعلات الاجتماعية فيها طبيعة متميزة،كما أنها تستخدم أساليب وإمكانيات نفسية اجتماعية محددة فى قيامها بعملية التطبيع الاجتماعى، وأنها تستخدم أيضا أساليب أخرى لمواجهة آثار رد الفعل السلبى أو الأثر الجانبى الناجم عن هذه العمليات والتحكم فيها، بحيث يسير أدائها لهذه الوظيفة دون تعقد أو تعثر.

مراجع الفصل السابع

١ ـ محمد قطب، دراسات فى النفس الإنسانية، دار الشروق ـ القاهرة ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ص ١٤٧.

٢ ـ كمال دسوقى (دكتور)، النمو التربوى للطفل والمراهق، دار النهضة العربية ـ بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٦٦.

٣ ـ فوزية دياب (دكتورة)، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية «الطبعة الثانية ١٩٨٠م، ص ١١٤.

٤ ـ سيد أحمد عثمان (دكتور)، علم النفس الاجتماعى التربوى، ج١ ـ التطبيع الاجتماعى ـ مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠م، ص ٦٦، ٧٦، ٧٧.

٥ ـ عزت حجازى (دكتور)، الشباب العربى ومشكلاته، الطبعة الثانية (عالم المعرفة) مرجع سابق الإشارة إليه، ص ١٢٤.

٦ ـ كمال دسوقى، المرجع السابق، ص ٣٣٤ ـ ٣٤٥.

٧ ـ كمال دسوقى، المرجع نفسه، ص ٣٢٣ وما بعدها.

٨ ـ عزت حجازى، المرجع السابق، ١٢٤.

٩ ـ محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، كيف نربى أطفالنا (التنشئة الاجتماعية للطفل فى الأسرة العربية)، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م، ص ٤٩ ـ ٥١.

الفصل الثامن

اتجاهات الأبناء وتنميتها

يثير تحديد معنى الاتجاهات أو تعريفها مشكلة واضحة بين بعض الباحثين السيكولوچيين، فثمة فريق يعرفها بشكل غيبي على أنها «قوة» أو استعداد يلون سلوك الفرد نحو موضوع ما بشكل معين، بينما يعرفها فريق آخر بأنها «حالة استعداد عقلي وعصبي تؤثر بصورة واضحة على استجابة الفرد لكل الموضوعات والمواقف التي ترتبط بهذا الاستعداد»[1] ولكن الرأي الذي نرجحه هنا أن نبدأ بتعريف الاتجاه تعريفا إجرائياً، أي أن نشرح في بساطة العمليات التي يتضمنها مفهوم الاتجاه ذاته، وعلى هذا فالاتجاه مفهوم يعبر عن محصلة استجابات الفرد نحو موضوع ذي صبغة اجتماعية وذلك من حيث تأييد الفرد لهذا الموضوع أو معارضته له، هذا عن تعريف الاتجاه.

أما من حيث معنى الاتجاهات: فهي ناتج انفعالي ثانوي لخبرات الفرد ولها أصولها في حواسه الداخلية وعاداته المكتسبة والمؤثرات البيئية التي تحيط به. وبعبارة أخرى تنتج الاتجاهات من الرغبات الشخصية ومؤثرات الجماعة عموماً، إنها في الحقيقة جزء من شخصية الفرد ولكنها تتأثر باتجاهات وسلوك الجماعة أو الجماعات التي يتصل بها. وتتسم الاتجاهات بالانتشار السريع في المحيط الذي تعمل فيه، ولذلك نجد الأطفال يقلدون الكبار في اتجاهاتهم التي يمكن

اكتسابها وتعلمها، إنهم يتعلمون اتجاهاتهم من آبائهم أو معلميهم ومن الكبار الذين يتصلون بهم.

ويحاول الآباء فى كثير من الأحيان أن يقحموا اتجاهاتهم على أبنائهم، وقد ينجحون أحياناً ولاينجحون أحيانا أخرى. «ومع ذلك فإن أفراد الأسرة الواحدة الذين يعيشون معاً حيث يعبر الكبار عن اتجاهاتهم نحو الناس والأحداث الجارية. أما الصغار فيميلون إلى تنمية اتجاهات مشابهة دون أن يتحققوا من أنهم يفعلون ذلك»[٢].

الاتجاهات الوالدية وأثرها فى تطبيع سلوك الأبناء

فالاتجاهات الوالدية على هذا النحو تعنى الكيفية التى بها يدرك الكبار دورهم الوالدى الذى يؤثر فى اتجاهاتهم كآباء أو أمهات، فإدراك مسئوليات ووظائف وواجبات الدور الوالدى يشكل اتجاهات الفرد فى الدور مما قد يشكل سلوكه، من هنا تأتى أهمية اتجاهات الوالدين نحو الصغار كجوهر لعلاقات الوالدية والبنوة التى عبر عنها سيموندز بقوله: «ولابد من التأكيد على أن جوهر علاقات الوالد والولد يكمن فيما (يشعر به) الوالد أكثر مما يكمن فيما يفعل»[٣] وقد كشفت دراسات الاتجاهات الوالدية عن التنوع الكبير لهذه الاتجاهات وإلى أى حد تؤثر فى علاقات الآباء والأبناء، وكذلك علاقات الأشقاء، ومن تلك الدراسات دراسات: السماح ـ الرفض ـ التقبل ـ السيطرة على الصغير أو الخضوع له.

وسنتناول بيان أثر كل مفهوم من تلك المفاهيم ودوره فى تنشئة الأبناء وتحديد اتجاهاتهم على النحو التالى:

السماح

يتقبل الوالد السمح أفكار ولده المبكرة وطموحاته بدلاً من أن يفرض أفكاره هو وطموحاته عليه، ويشجع الصغير على اللعب مع رفاقه الآخرين، ويشعر

صغيره بأنه متقبل وقوى، كما يكشف عن تقبل نواحى الضعف للطفل وتفهمه لها، على أن تجاوز الوالد حدود السماح المعقولة لاشك أنه ينجم عنه الوصول بالطفل الى درجة يخشى خطرها وأثرها عليه وهى اللين والتساهل، فإذا لم يصل السماح الوالدى إلى التراخى والتساهل فإنه يؤدى إلى علاقة والدية حسنة مع الأبناء وإلى حياة أسرية سليمة.

العوامل المؤثرة فى اتجاهات الوالدين*

- القيم الثقافية فيما يتعلق بأحسن طرق معاملة الصغار.
- توافق شخصية كل من الوالدين
- الرضا عن الدور الوالدى.
- الشعور بالكفاية للدور الوالدى.
- التوافقات الزوجية والسعادة الزوجية.
- الرضا الوالدى بجنس الصغار، وعددهم، وطباعهم.
- إرادة الوالد أن يقوم بتضحية شخصية واقتصادية من أجل الصغار.
- حجة الوالدين فى إنجاب طفل: هل هو للاستمرار فى الحياة الزوجية أو للاستمتاع بصحبة طفل.

وتأكيداً لهذا، فقد تبين أن الصغار الذين تسمح بيوتهم بحرية معقولة بارعون واسعو الحيلة Resourceful يتعاونون ويعولون على أنفسهم، تكيفهم بالمواقف الاجتماعية جيد، هم يكشفون عن دأب ومثابرة، وعن أهلية لتحمل المسئوليات. أما إذا كان الوالدان متساهلين إلى الدرجة التى حذرنا منها، فإنه يصعب على الصغير تحقيق توافقاته الاجتماعية، فهو يصبح أنانياً لحوحاً وطاغية يتوقع دوام

(*) جدول رقم (٢) يبين العوامل المؤثرة فى اتجاهات الوالدين، نقلاً عن د. كمال دسوقى، دروس فى علم النفس الارتقائى، مرجع سابق، ص ١٥٧.

الانتباه له والعطف عليه وخدمته. ضيق الصدر.. إلخ ذلك من الصفات غير المرغوب تنميتها كاتجاهات فى نفوس الأبناء وشخصياتهم.

الرفض أو النبذ

الرفض الوالدى ـ فى حالة المبالغة فيه ـ تكمن خطورته على الأبناء فى أنه يهدد مشاعر الأمن السوية ويقوض تقدير الذات عند الصغير ويستحث مشاعر العجز والإحباط التى من شأن استمرارها تعجيز الصغير عن توافقه الحياتى، ويشيع التبول اللاإرادى بين الصغار الذى يستشعرون الرفض، الوالدى فإذا ما كبر الصغار يشيع السلوك المضاد للمجتمع الذى يتمثل فى: العدوان والقسوة والكذب والسرقة وجذب الانتباه والمدح والمساعدة التى لالزوم لها والتباهى أو التفاخر، من هنا يجب على الوالدين أن يميزا بين الرفض بهذا الشكل وبين رباطة الجأش التى تؤدى إلى سعادة الطفل ورفاهيته أو ما يعرف بالتسلط الإيجابى.

التقبل الوالدى

«وتبرز قيمته فى أن الوالدين الناضجين انفعالياً يهدفان لتنمية الابن المستقل بنفسه ويفعل كل منهما ما فى وسعه لتحقيق هذا الهدف، وعلى العكس من ذلك الوالدان غير الناضجين انفعالياً، فهما يتعلقان عصبيا بطفلهما ويحاولان صهره ليلائم معاييرهما، والطفل المتقبل تحسن عموما تنشئته الاجتماعية ويكون متعاوناً ودوداً مخلصاً وفيا يتمتع بالثبات الانفعالى»(٤).

السيطرة

مما كشفت عنه الدراسات فى مجال تحديد وتنمية الاتجاهات الوالدية عند الأبناء فى هذا الصدد أن الصغير الذى يسيطر عليه أحد الوالدين أو كلاهما بشكل معتدل يكون أمينا مؤدباً حذراً، لكن إذا كانت تلك السيطرة مبالغاً فيها أو متشددة فمن المحتمل جداً أن تؤدى بهم إلى أن يكونوا خجولين أو يشعروا

بعدم الكفاءة والدونية (انحطاط الذات) والحيرة، وإذا كبر أحدهم فإنه يشعر بالخوف من أن الآخرين سوف يغشونه ويخدعونه أيضاً، فينمى ذلك عنده «عقدة المغفل».

Sucker Complex التى هى خوف دائم من أن الآخرين سوف يستغلونه ويحتالون عليه، ومن هنا أيضا فإن على الوالدين فى عملية التطبيع الاجتماعى وتنمية الاتجاهات النفسية عند أولادهم أن يراعوا فى ذلك معيار الحيدة والتوسط أو الاعتدال فيما يتعلق بعملية السيطرة تلك، فلا يصح - تربويا ونفسيا - أن يكونوا متسلطين متعسفين أو خائفين حذرين على أولادهم أكثر من اللازم.

الخضوع للصغير

وعلى العكس من ذلك تماما ما نجده عند بعض الوالدين المسيطرين هؤلاء الذين يسمحون لصغارهم بالسيطرة على البيت فنجد، مثلا، أن كل ما يطلبه الولد من الأبوين يلبى، ولو على خلاف رأيهم الصواب، ونجد سوء ذلك ونتائجه تنعكس على شخص الابن وتصرفاته حيالهما، حيث يصبح غير مطيع وغير مسئول عن تصرفاته الخطأ تجاههم أو فى مواجهتهم، بل إنه يتحدى سلطتهم فيتحول - من ثم - إلى شخص عدوانى عنيد ومعاكس ومهمل.. إلخ ذلك، مما نهيب بالآباء ضرورة الحذر منه فى اتجاهاتهم نحو الأبناء فى الأسرة.

المحاباة

بالرغم من دعوى أحد الوالدين النمطية أنه «يحب كل أولاده سواء بسواء»، فإن ثمة تصرفات له لاتكون مقنعة للصغار بذلك، فالصغير الذى يدرك أنه أثير والديه يعلم أنه يمكنه قول وفعل أشياء ربما يعاقب عليها الأشقاء الأقل حظوة، والصغير الذى ليس محظوظاً بطبيعة الحال يبدى رغبة كبيرة فى إرضاء والديه، أما أشقاؤه فيصبحون عدائيين وقتاليين.

وهنا يجدر بالآباء أن يعدلوا فى المحاباة ـ أو على الأقل ـ ألا يشعروا الآخرين من أبنائهم بأفضلية أحدهم دون الآخر من أشقائه بصورة ظاهرة منفرة ومفضوحة، على أن الصغير الذى يكون لامع الذكاء متفوقا فى دراسته يكون محبوبا، كما يكون أثير والديه مفضلا على بعض أقرانه بطبيعة الحال وهذا لاجدال فيه وكلما كان الصغير أكثر نجاحاً أصبح الوالد أكثر إرادة فى التضحية من أجله ولو استتبع ذلك ـ من جانبه ـ صرف النظر بعض الشىء عن بقية الأشقاء له.

مطامح الوالدين

كثيراً ما يجاهد الآباء من غير أن يضعوا فى الاعتبار قدرات الأبناء ليجعلوهم يشبعون طموحاتهم التى لم تتحقق فى حياتهم، فالأب الذى حرم من التعليم مثلا، يأمل فى ابنه أن يعوضه هذا النقص الذى فاته فى حياته عن طريق جهده وتفوقه، بل هو لايكف عن مطالبة ابنه بذلك ناسيا أو متناسيا قدرة هذا الابن ومدى ملاءمتها فى تحقيق ذلك، وكنتيجة لمثل تلك الاتجاهات كثيراً ما يضعف اجتهاد الولد الذى لاتسعفه قدراته الخاصة على تحقيق ذلك الطموح (الوالدى) أو ينخرط فى التخيلات وأحلام اليقظة لأنه ـ كما يقول راند وزميلاه ـ ينشأ الاضطراب عندما تصبح أمانى الوالدين أنانية وحين تكون الأمنية الرئيسية هى إرضاء الذات (الأنا) الوالدية أو رغبتهما أن يعيشا من جديد حياة أحدهما الخاصة من خلال الصغير، فالوالدان حينئذ يسلبان الصغير فرديته ويفرضان عليه نمو الميول التى ليست موجودة بالفطرة ـ مثلا ـ أويشلون لديه القدرات التى ينبغى أن تسود.

ولهذه الحالات كثير من الصور والأمثلة، خصوصاً فيما يتعلق برغبات الأبناء أو ميولهم فى الالتحاق أثناء مرحلة التعليم بقسم معين من التعليم، كأن يرغب الولد الالتحاق بالقسم الأدبى فى الدراسة، لكن أباه يفرض عليه

الالتحاق بالقسم العلمى لأنه يريده أن يكون «دكتوراً فى الطب» «أو مهندساً» أو ما إلى ذلك.

صفوة القول

إن عوامل كثيرة تؤثر على سلوك الولد منها خبرات طفولته وسلوك واتجاهات والديه إزاءه حين كان طفلاً وشاباً وتركيب شخصيته واتجاهاته، كما أنه يتأثر بما يجد من إبداع فى تصرفاته التربوية كولد يريد أن يأخذ المستحدث من أساليب التربية العصرية مهما يكن وهو لاشعورياً مشدود لماضيه وخبراته والنتيجة أن قدراً من التدريب على فن الوالدية أمر لا غنى عنه للوالدين.

خصائص الاتجاهات:

مما سبق يمكننا القول بأن الاتجاه فى صورته النهائية «إنما يمثل محصلة صراع القوى المتناقضة التى تعرض لها الفرد فى تنشئته الاجتماعية، وتعبر درجة قبول الفرد أو رفضه لمقياس ما من مقاييس الاتجاهات عن هذه المحصلة»(٦).

ونخلص من ذلك إلى أن ثمة خصائص للاتجاهات يمكن بلورتها فى:

- إنها ذات طبيعة مكتسبة.
- إنها ذات ثبات نسبى.
- إنها قابلة للتعديل أو التغيير بشروط.

ويفيد التعريف السابق للاتجاهات أنها مكتسبة وأنها تخضع فى تعلمها واكتسابها لقوانين التعلم خضوع أنماط السلوك الأخرى بوجه عام، فهى تنمو فى الفرد لحظة بلحظة ويتكون بعضها دون توجيه، بينما يتكون البعض الآخر نتيجة للتخطيط من جانب شخص أو أشخاص يرغبون فى تشجيع اتجاهات معينة لدى الآخرين. إن الطفل مقلد كبير ويبنى معظم اتجاهاته بالتقليد، والمراهق مشهور بالفوران الانفعالى وبمشكلات توافقه المتزايدة مع الجماعة الممتدة شاملة أعضاء من الجنس الآخر، وتبعاً لذلك فإنه يكتسب اتجاهات جديدة غير ثابتة،

فمثلا قد يحقق نجاحاً فى العلوم فيعجب بمعلم العلوم، وقد يجد صعوبة فى مادة التاريخ فيوجه لوماً إلى المعلم بأنه لا يعرف طريقة التدريس للمادة جيداً.

بينما يتأثر الطفل أيضا بالمميزات البيئية التى تؤثر فى اتجاهاته بطريقة مرغوبة أو غير مرغوبة أحياناً، فكثيراً ما يتعرض الطفل فى حياته للعديد من أنماط التعلم، فقد يتعلم فى مجال الأنانية، بينما يتعلم فى موقف مشابه الإيثار، وقد يتعلم فى موقف احترام ذاته، وفى موقف آخر ازدراءها، ومعنى هذا أن الفرد يتعلم اتجاهات متضاربة فى الأغلب الأعم إزاء المواقف أو الموضوعات المتشابهة نتيجة لما يكشف محيطه الاجتماعى من تناقضات.

ومرد ذلك إلى وجود مستويات ثلاثة تؤثر بدورها على اكتساب الاتجاهات المنبثقة من الواقع الاجتماعى. وهى:

- المستوى الثقافى العام وما يمثله من قيم واتجاهات وعادات وتقاليد وأنماط ثقافية غالبة فى مجتمع ما فى مرحلة من مراحل تطوره.

- «مستوى الجماعات الأولوية والثانوية ومستوى الثقافات الفرعية.. إن الأفراد داخل المجتمع الواحد رغم تعرضهم لقيم تسود المجتمع ككل يتعرضون كذلك إلى قيم تسود كل طبقة من طبقات هذا المجتمع، وتختلف هذه القيم والأفكار والاتجاهات والعادات قليلا أو كثيراً باختلاف هذه الجماعات أو الطبقات أو الشرائح أو الفئات، ويتعلم الفرد من جماعته الأولية أو الثانوية، كما يتعلم من محيط ثقافاته الفرعية بصفة عامة القيم والأفكار والاتجاهات والعادات التى تسود هذه الجماعات، ومن هنا تختلف اتجاهات الأفراد باختلاف تبعيتهم وتوحدهم مع هذه الجماعات، أو تلك»(٧).

- أما المستوى الثالث والأخير من هذه المستويات، فهو مستوى الخبرات الشخصية الخاصة الفريدة والمتميزة.،فالخبرة التى يتعرض لها أفراد أسرة واحدة فى ثقافة فرعية واحدة داخل الوطن الواحد لاتتطابق تطابقا تاما لا من حيث

جدتها أو نوعها أو الجانبين معا، وهذا يفسر لنا اختلاف الأخوة أو الأشقاء أو حتى التوائم فى عملية اكتسابهم الاتجاهات سواء الوالدية أو غير الوالدية (التعليمية).

نخلص من هذا إلى أن الاتجاهات من حيث طبيعتها تكون مكتسبة بالنسبة للأبناء فى عمليتى التطبيع والتنشئة الاجتماعية على السواء.: من ذلك يصدق قول القائل«إننا لا نولد ومعنا اتجاهاتنا ولكنها تنمو مع خبراتنا»[٨].

الثبات النسبى للاتجاهات

طبقاً للتعريف الذى سبق ذكره للاتجاهات واكتساب الاتجاهات منذ السنوات الأولى من حياة الطفل ـ أى فى فترة مبكرة من العمر ـ فإن بعض الاتجاهات يكون على مستوى لاشعورى، وبذلك يستقر فى شخصية الفرد ونفسه بشكل مستتر غير قابل للمواجهة، وهذا يجعلها بمنأى عن التأثر المباشر بالعمليات العقلية العليا مما يزيد من ثبات الاتجاه واستقراره رغم ما قد يتعرض له الفرد من معلومات وخبرات «جديدة» مضادة لاتجاهاته تلك، فالاتجاهات يغلب عليها الاستقرار بقدر استقرار الخبرات الجديدة ومدى تمشيها مع الخبرات السابقة التى أدت إلى اكتساب الاتجاه أصلاً، وكذا بمقدار لاشعورية هذه الاتجاهات وكذا بمرحلة تعلمها من حيث التبكير أو التأخير.

تعديل الاتجاهات

يقصد بتعديل الاتجاه «التخلص من اتجاه قديم وتنمية اتجاه جديد فى الوقت ذاتــه»[٩] ونحن بحاجة ماسة إلى تعديل اتجاهات عديدة حتى تتماشى مع أبعاد التغيير الاجتماعى، فنحن بحاجة ـ مثلا ـ إلى تعديل اتجاهات الآباء إزاء معاملتهم أبناءهم بحيث لا يمارس الأب تجاه أبنائه أسلوب التسلط أو السلطة التعسفية فى تنشئته لأبنائه، وإلى تعديل اتجاه الوالدين فى التمييز بين الأبناء

على أساس الجنس (حب الولد أكثر من البنت) أو السن تمييزاً مجحفاً ومتحيزاً، وكذلك إلى تعديل اتجاه الآباء فى أسلوب العقاب البدنى أو إثارة الألم النفسى عند أحد أبنائهم.. الخ ذلك من الاتجاهات الوالدية فى تنشئة الأبناء.

إن تعديل هذه الاتجاهات وأمثالها ـ كما يقول د. محمد عماد الدين إسماعيل ـ يعتبر من أهم المشاكل التى تواجه المشتغلين بالعلوم السلوكية ويعتبر من أهم التحديات التى يتعين عليهم التصدى لها وإيجاد الحلول المناسبة لها.

والسبب الذى يدعونا إلى تعديل اتجاهاتنا يكمن فى إحساسنا بقصور الاتجاهات الحالية عن بلوغ أهدافها إلى جانب ما يعتريها من تناقض قائم بين تلك الاتجاهات السائدة فعلا والعاجزة عن ملاحقة التطور والتقدم وبين الاتجاهات الجديدة المطلوب غرسها وتنميتها من جانب الوالدين ـ فى الجماعة الأولية ـ فى نفوس الأبناء والتى تفرضها سنة التطور الاجتماعى. إن العملية فى جوهرها عملية إعادة، تعلم وهى بالتالى تتحقق من خلال أربعة شروط نكتفى بذكرها هنا وقد أشرنا إلى تفصيلاتها فى مراجعها، وهذه الشروط هى:

١ ـ توافر الدافع لتعلم الاتجاه الجديد.

٢ ـ إدراك الفرد للاتجاه الجديد وتفهم أبعاده.

٣ ـ خلق الظروف والمجالات وإتاحة الفرص لممارسة الاتجاه الجديد.

٤ ـ التدعيم الذى يعنى إثابة الاتجاه الجديد وتشجيعه بشتى الوسائل والطرق.

على أن ثمة سؤالاً يثور فى هذا الصدد: ما الأساليب والطرق التى يمكن بواسطتها تعديل الاتجاهات؟

ويتلخص الجواب فى الطرق التالية:

١ ـ الخبرات والمعارف والمعلومات

«كلما زاد شعور الفرد بالاشتراك الإيجابى فى محاولته التعرف على المعارف والمعلومات، كلما ساعد ذلك على اندماجه وتوحده وتعديل اتجاهه وسلوكه الاجتماعى»[١٠].

٢ ـ المثل أو القدوة:

العديد من التجارب الخاصة بتعديل الاتجاهات ـ فى المجال التربوى والاجتماعى ـ دلت على أن الإنسان يسهل عليه تعديل اتجاهه إذا ما توافرت القدوة والمثل على عكس ما ينادى بتغيير سلوك اجتماعى خطأ مع أنه يقترفه مع نفسه أولا يقلع عنه، كمن يدخن ويحذر الغير من مضار التدخين، فمثل هذا على طريقة:

لاتنهى عن منكر وتأتى مثله

عار عليك إن فعلت عظيم

وقوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»[*]. من هنا يتضح الأثر الكبير فى ضرورة توافر القدوة أو المثل فى إقناع الأفراد بجدية الدعوة إلى الاتجاه الجديد ونبذ الاتجاه القديم(الخطأ).

٣ ـ الجماعات التى ينتمى إليها الفرد

وهنا نركز على الإشارة إلى أثر الجماعات المرجعية الموجهة ودورها البارز فى تعديل الاتجاهات التى يرجع إليها الفرد سواء كان عضوا فيها أم لا فى تقييم سلوكه واتجاهاته.

(*) سورة الصف، الآية رقم (٢، ٣).

٤ ـ الثواب والعقاب

من الأمور المألوفة لتعديل أى سلوك أن يدعم السلوك الجديد المطلوب تدعيما ايجابيا ويدعم السلوك القديم تدعيما سلبيا، وعلى هذا النحو يقوى الاتجاه الجديد ويضعف الاتجاه القديم، وتتعدد أساليب الثواب والعقاب، فتشمل بصورة عامة الحوافز المادية والأدبية الايجابية والسلبية الفردية والجماعية على نحو ما فصلنا ذلك من قبل.

٥ ـ التغلب على «مقاومة» الفرد للاتجاهات الجديدة

«يجب والجماعة بصدد تعديل اتجاهات الأبناء ـ فيها ـ أن تنجح فى عملية التغلب على «مقاومة» الفرد للاتجاهات الجديدة، وقد يكون السبب الرئيسى فى مقاومة الفرد للاتجاه الجديد هو الخوف من تعارض الاتجاه مع مصلحته كما يتصورها شعوريا أولا شعوريا»(١١).

الخلاصة

يتعين علينا عند تعديل الاتجاهات أن نحدد الاتجاهات الجديدة، كما يتعين علينا تحديد مواقع الأفراد والجماعات من هذه الاتجاهات، ويتعين علينا أيضا تشخيص الأسباب التى تعترض تنمية الاتجاهات الجديدة قبل المضى فى اختيار أنسب الطرق أو الأساليب، إن وقوفنا على هذا التشخيص الدقيق للأسباب هو الذى يساعدنا على انتقاء أكثر الأدوات والأساليب فعالية فى تعديل الاتجاهات عموما.

الأسرة وتحديد الاتجاهات

أما بالنسبة لدور الأسرة فى تحديد الاتجاهات بوجه عام فيمكن إرجاعه لعدة اعتبارات هامة هى:

١ ـ «الأسرة هى أول محيط اجتماعى يتعلم فيه الطفل النماذج الأولية

لمختلف الاتجاهات، وفى هذا المناخ العائلى تتولد بذور الحب والكره والغيرة والإيثار والتعاون والتنافس والتسلط والخنوع واحترام الملكية الفردية أو الملكية العامة «الجماعية» والادخار أو الإسراف واحترام الغير.. إلخ، وبصورة عامة تتكون الدعائم الأولى لأسس الاتجاهات على اختلافها وتناقضاتها، وبعبارة أخرى ترسى الدعائم الأولى للشخصية»(١٢).

٢ ـ نظراً لعجز الطفل النسبى ـ وهو فى بدايات حياته الأولى للنمو على نحو ما فصلنا من قبل ـ نجد معظم الاتجاهات الأولى التى يكتسبها الطفل تكاد تنحصر فى محيط الأسرة، مما يزيد من أهمية دور الأسرة فى هذا المجال.

٣ ـ تمثل الاتجاهات الأولى التى يكتسبها الطفل الخلفية أو الأرضية التى تترجم فى ضوئها الخبرات الجديدة، لذلك كان من الأهمية إبراز مدى دور الأسرة فى هذا المجال أيضا.

٤ ـ كذلك فإن بعض الاتجاهات التى تتكون فى هذه المرحلة تكون على مستوى لاشعورى ـ على نحو ما أشرنا قبلا ـ فكثير من هذه الاتجاهات تتكون لدى الوليد فى مرحلة المهد وقبل أن يكتسب القدرة على الكلام، وهى على هذا النحو فى متناول الإنسان فى المستقبل من حيث قدرته على استرجاعها أو التعبير عنها أو إخضاعها للعمليات العقلية العليا، كالتفكير والتصور أو التخيل.. إلخ، لذلك نجد كثيرا من خبرات الطفولة ـ وخاصة فى سنى المهد ـ والطفولة الكبرى تظل آثارها باقية ما بقى الإنسان.

٥ ـ إن التعرف على أوجه القوة والضعف فى هذه الاتجاهات يساعدنا على المبادرة بعلاجها قبل أن تتفاقم وتتأصل عند النشء، مما يجعل تقويمها فى المستقبل أشق وأصعب، كما أن تعريف الآباء بالاتجاهات السليمة فى التنشئة

والأخطاء التى قد يقترفونها فى تربيتهم، قد تساعدهم على تجنب الوقوع فى هذه الأخطاء مع الأبناء الجدد، وفى هذا توفير كبير للجهد، إذ من السهل نسبياً غرس اتجاهات صحيحة وتنميتها لدى الأبناء أول الأمر بعكس اقتلاع الاتجاهات الخاطئة وغرس الاتجاهات السليمة محلها.

مراجع الفصل الثامن

١ ـ فاروق عبدالفتاح: علم النفس التربوى، دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨١، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٩.

٢ ـ كمال دسوقي: المرجع السابق، ص ٣٤٣ ـ ٣٤٥.

٣ ـ كمال دسوقي: المرجع نفسه، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩.

٤ ـ المرجع السابق، ص ٣٥٥.

٥ ـ محمد عماد الدين إسماعيل: المرجع السابق، ص ٥٩.

٦ ـ المرجع نفسه، ص ٦٩.

٧ ـ محمد عماد الدين إسماعيل، المرجع السابق، ص ٧٠ ـ ٧٢.

٨ ـ فاروق عبدالفتاح: المرجع السابق، ص ٢٦٦.

٩ ـ محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، المرجع السابق، ص ٧٣ ـ ٧٤.

١٠ ـ المرجع السابق، ص ٧٥ ـ ٧٩.

١١ ـ محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون: المرجع السابق نفسه ص ٨٠ ـ ٨٦.

١٢ ـ المرجع السابق: ص ٦٦ ـ ٦٧، سيد أحمد عثمان، المرجع السابق (التطبيع الاجتماعى) ج١، ص ٧٠ ـ ٧٧.

الفصل التاسع
تنمية القيم التربوية والنفسية فى الأبناء

تمهيد :

الإنسان كائن أخلاقى، ترتبت عليه مسئولية حمل القيم التى أوجدها الله على الأرض، لتستقيم الحياة وتستمر بشكلها الصحيح، وقد أصبح موضوع الأخلاق نوعا مهما من فروع الفلسفة لكونه يبحث فى المقاييس التى يمكن بواسطتها التمييز بين الخير والشر فى سلوك الإنسان .

وللفلاسفة فى ذلك مذهبان : الأول يجعل الخير أمراً مطلقا لا يتغير بتغيير المكان والزمان، فهو موجود فى الفعل ذاته، فالواجب الخلقى مفروض بحكم العقل لا بدافع العواطف، ومن ثم فهو واجب على كل إنسان، مهما تكن الظروف وبغض النظر عن نتائج الفعل سارة كانت أو مؤلمة .

أما المذهب الثانى: فهو يجعل الخير أمراً نسبياً يختلف باختلاف الظروف القائمة وهو مرهون بغاية ذلك الفعل، فالخير هو ما يؤدى إلى السعادة أو اللذة أو المنفعة وهذا ما قال به أبيقور الفيلسوف اليونانى، على أن الفضيلة الخلقية ـ كما يقول أرسطو ـ هى «اختيار وسط بين طرفين متناقضين، فالإفراط

والتفريط فى كل شىء هما رذيلة، فالشجاعة مثلا هى وسط بين الجبن والتهور ولكنها أقرب الى التهور منها إلى الجبن، والكرم وسط بين التقتير والإسراف ولكنه إلى الإسراف أقرب، وعليه فالحد الوسط بين الطرفين المتناقضين لا يقصد به الوسط الحسابى. والفضيلة يمكن أن تكتسب بالتعلم ولكن الممارسة شرط لنمو الملكة (الحاسة الخلقية) واستقرارها فى الشخص صاحب الفضيلة»[1].

إن البشرية الأولى قد اهتدت اهتداء تلقائيا إلى القيم الإنسانية، ومعنى ذلك أن القيم جزء أصيل من كيان الإنسان ..«القيم العليا وثيقة الصلة بالجانب الروحى فى الإنسان.. ومن ثم فهى أصيلة فى أعماق هذا الكيان» [2]وإنما الذى يعين على تنميتها فى نفس هذا الإنسان هو الضبط أو الحجز وليس الكبت على ما زعم فرويد فى هذا الصدد، هذا عن القيم بوجه عام.

القيم من وجهة نظر اجتماعية

أما القيم الاجتماعية فيعرفها البعض بأنها «نتاج خبرات اجتماعية وهى تتكون نتيجة عمليات انتقاء (اختيار) جماعية يصطلح أفراد المجتمع عليها لتنظيم العلاقات بينهم، ويمكن القول بأن اللغة هى أداة إبراز التمييز والتعميمات والمعتقدات المرتبطة بالقيم، أى بما يجب أن يكون وما يجب ألا يكون، وبأنها وسيلة نقلها والمحافظة عليها»[3].

وثمة مستويات ثلاثة يمكن أن نميز القيم من خلالها، هذه المستويات الثلاثة تمثل ما ينبغى أن يكون وما يرجى أن يكون.

أولا: القيم الإلزامية وهى تشمل الفرائض والنواهى وهى القيم ذات القدسية التى تلزم الثقافة بها أفرادها، ويراعى المجتمع تنفيذها بقوة وحزم سواء عن طريق العرف وقوة الرأى العام، أوعن طريق القانون والعرف معا، ومن ذلك فى مجتمعنا مثلا القيم التى ترتبط بتنظيم العلاقة بين الجنسين (الأبناء والبنات) أو

بمسئولية الأب نحو أسرته، أو بتحديد حقوق الفرد ووقايتها من عدوان الغير، وغير ذلك من الأمور.

ولا شك أن لهذه القيم الإلزامية دوراً هاما فى تنمية القيم الأخلاقية التربوية السليمة لتنشئة الأبناء تنشئة صالحة فى المجتمع.

ثانيا: القيم التفضيلية preferences وهى القيم التى يشجع المجتمع أفراده على الاقتداء والتمسك بها والسير تبعا لها، بحيث يكافئ من ينجح فى الأخذ بها وتطبيقها فى سلوكه الشخصى تجاه الآخرين معه فى المجتمع، ومن ذلك مثلا: الترقى فى ميدان العمل، أو التفوق فيه، والحصول على الثروة بطريق مشروع، وكذلك ضروب المجاملات فى العلاقات غير الرسمية.. إلخ.

ثالثا: القيم المثالية أو الطوبائية

«وهى القيم التى يحس أفراد المجتمع وفئاته باستحالة تحقيقها بصورة كاملة، ومن ذلك مثلا القيم التى تدعو إلى مقابلة الإساءة بالإحسان، أو أنه إذا ضربك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، فقد يعجز الفرد فى واقع الأمر عن الالتزام بمثل تلك القيم.. إلا أن المجتمع على الرغم من ذلك يؤثر وجودها فى الأفراد»(٤).

تلك هى المستويات الثلاثة التى يمكن تمييزها بالنسبة للقيم، ولما كان للقيم دور فى عملية التطبيع الاجتماعى إذ يتأثر الفرد منذ ولادته بالبيئة المباشرة المحيطة به، أى يتأثر بأسرته وبالثقافة الفرعية التى تنتمى إليها الأسرة، فسنبين كيف أن للأسرة دورها فى تكوين القيم الأخلاقية الصحيحة للأبناء من خلال عملية التربية الاجتماعية؟.

نمطا النمو الخلقى وتعلمهما :

يتم النمو الخلقى مروراً بمرحلتين متمايزتين: الأولى: «نمو السلوك الأخلاقى والثانى نمو المفاهيم الأخلاقية، ففى نمط هذا المجال من النمو لابد من أن يسبق السلوك التفكير والفعل فى المفاهيم العقلية أو المعرفية»(٥) .

ويتعلم الطفل السلوك الأخلاقى ـ كما فى أى تعلم ـ إما بالمحاولة والخطأ، وإما بالتلقين والتعليم المباشر، وإما من خلال التقمص أو التمثل والتوحد-identification ، والطريقتان الثانية والثالثة ليستا فقط الأفضل والأجدى، بل الأكثر استخداماً لكون تعلم المحاولة والخطأ مضيعة للوقت والجهد وأن ثمرته آخر الأمر أبعد من أن تكون مرضية.

أما الطور الثانى الذى يمر به تطور الطفل فهو تعلم المفاهيم أو المدركات الخلقية، أى مبادئ الخطأ والصواب فى صورتها المجردة (النظرية) فينبغى إذن أن يلقن تعليم مبادئ الأخلاق حتى تكون لدى الصغير المقدرة العقلية، والانتقال من موقف إلى آخر.

لقد كشفت دراسات نمو المفاهيم العقلية عموما أن المفاهيم الخلقية تكون أول الأمر نوعية وتتصل بمواقف نوعية معينة هى التى حدث تعلمهافيها، لكن كلما زادت استطاعة الصغير أن يتفهم العلاقات تظهر إدراكاته لمفاهيم الخطأ والصواب فى المواقف المختلفة وكنتيجة لهذا كلما أصبح الطفل أقدر على معرفة العنصر المشترك فى كثرة المواقف، فإنه يتدرج تعلمه للمفاهيم الخلقية العامة.

وجدير بالذكر أن الصغير فى سن ما قبل المدرسة يعجز عن التفكير المجرد فهو يحدد حسن السير والسلوك فى لغتنا نحن الكبار بحدود أفعال معينة مثل سماع كلام الأب أو طاعة الأم، كما يعرف سوء السلوك بأنه فعل ما ينهى عنه أو

يغضب له الأب أو الأم، ومع الوقت ـ وليس قبل سن الثامنة أو التاسعة ـ تعمم مفاهيمه الخلقية أكثر فيدرك مثلا ـ أن السرقة خطأ بدلاً من تعلم أن من الخطأ أخذ نقود الأب أوحليّ الأم أو كرة الزميل، وكلما ازدادت علاقاته بالآخرين الذين تختلف قيمهم الاجتماعية Social Values عن مفاهيم والديه كأفكار خلقية عامة تعكس مفاهيم خلقية للطرفين، تتغير المفاهيم الأخلاقية للصغير ومع هذا فحينما يصل لمرحلة المراهقة يكون ميثاقه الأخلاقي قد تم تكوينه مهما يظل قابلا للتغيير.

نمو الضمير الخلقي في الفرد وأثره:

يصف عالم النفس البريطاني ايزنك Eysenck الضمير بقوله: إن الضمير استجابة قلق شرطية لمواقف وتصرفات معينة ينشأ عن اقتران أفعال معينة بالعقاب ... نسميه «الأنا الأعلى» وأحيانا «النور الباطني» وندركه عموما على أنه جهاز آلي مركب في الكائن الإنساني بطريقة خفية ـ كلتا عينية لا تغفلان عن أفعاله ويعطيه وخزة حادة كلما انحرف عن الصراط المستقيم المبين للواجب»[٦].

على أن ضمير الفرد يتكون منذ الطفولة الأولى نتيجة لتعويده، الالتزام بالأوامر الصادرة إليه من قبل السلطة الضابطة أو الحاكمة (الخارجية) التي قد تتمثل في الوالدين والمدرسين في المدرسة والمجتمع في قواعده وتقاليده الخلقية التي هي جزء من ثقافته المجتمع ككل.

ومن ثم، وبالتدريج يتعلم الطفل ضبط النفس ويصبح قادراً على القيام بالسلوك المرغوب فيه في المواقف المختلفة دون أن ينتظر في كل لحظة أن يتلقى التوجيه أو الأمر من الخارج، وهذه هي عملية تكوين الضمير الخلقي في الفرد.

ومع الإرادة الضابطة ينشأ الضمير.. وهو ليس ضميراً نفعياً كالذات العليا التي رسمها فرويد مهمتها «حماية» الذات من ضغط المجتمع الخارجي بإجبارها على الخضوع لأحكامه التي تتمثل أولا في الوالد، ثم في الإله...إلخ.

وإنما هو ضمير خلقي واع يتفاهم مع النفس ويحاول تذكيرها دائماً بأهداف الحياة العليا وبأن الإنسان لا ينبغي أن يعيش لنفسه فقط، ولا ينبغي أن لا يستبعد لشهواته كالحيوان، فإذا كان الضمير يمسك أحيانا بالعصا ويهم بالضرب، أو يضرب فعلا، فليس في ذلك من ضير ما دام ذلك كله في محيط الشعور، وما دام الضمير لا يوكل بكبت المشاعر الشهوية، بل بضبطها وتنظيمها بعد أن تظهر في عالم الشعور،فلا ضير كذلك إذا كان نشوء الضمير ذاته في نفس الطفل يتم بطريقة لا شعورية يحاول تقليدها بقدر ما تسمح قواه، لا ضير في ذلك كله ما دامت الموانع والمحرمات واضحة واعية مفهومة الهدف معقولة الغاية، وما دامت عملية المنع والتحريم لا تتعرض في أية لحظة لكبت الشهوة بل لطريقة التنفيذ.

ومن ثم يجب على الآباء أن يهتموا بتربية الضمير منذ الطفولة، ويدعوا له لتهذيب النفس والارتفاع بمشاعرها على أساس أن يقيم الإنسان من نفسه رقيباً على أعماله يزجره عن إيذاء غيره أو الاعتداء على حق من حقوقه،ولو كان لا يحبه.

وعن طريق التربية يكتسب الطفل القيم الأساسية والدعامات الأولى لبناء ذاته وشخصيته في محيط الأسرة، وتمثل الأسرة من ناحية، ثقافة المجتمع بصفة عامة وتمثل من ناحية أخرى، الثقافة الفرعية التي تنتمي إليها بصفة خاصة.

وعلى هذا فالأسرة تعمل بأساليبها التربوية المختلفة على إكساب الطفل السلوك الذي يتوافق مع القيم التي تدين بها، فالأسرة قد تعمد إلى أساليب الإثابة والعقاب في تأديب الطفل وذلك بإثابته على حسن سلوكه (ما يتماشى من أنماط سلوكه مع قيمها) وبعقابه على سوء سلوكه (ما يتعارض من أنماط سلوكه مع قيمها) فتدعم بهذه الأساليب السلوك الذي يتمشى مع القيم الأساسية التي تدين بها وتمنع السلوك الذي يتعارض معها.

الأسرة وتنمية القيم الأخلاقية

وثمة عامل آخر له تأثير بالغ فى تربية الأبناء وفى تكوين قيمهم الاجتماعية الصالحة، يتمثل فى عامل الأسوة والقدوة الحسنة الظاهرة فى سلوك الآباء أنفسهم فى مواجهة أبنائهم، فالذات تتكون أساسا نتيجة استجابة الطفل لتوقعاته ممن حوله ومن إدراكه لتوقعات غيره.

«ومن ثم، فإن التناسق بين أساليب التربية والتهذيب المختلفة مع القدوة فى بيئة الطفل أمر بالغ الأهمية لتنشئة الطفل ـ أو الأبناء ـ وتكامل شخصيتهم» (٧) وهكذا تتضح أهمية دور الأسرة وأهمية الثقافة الأسرية فى تكوين شخصية الأبناء.

الخلاصة

نخلص مما سبق دراسته فى هذا الفصل إلى أن الأسرة كهيئة اجتماعية تلعب دورها فى عملية تنشئة الأبناء تنشئة صحيحة على أسس سليمة من خلال محاور ثلاثة: التطبيع الاجتماعى للأبناء أنفسهم وتحديد الاتجاهات الاجتماعية لديهم، ثم أخيراً أثرها البارز فى بلورة وتأسيس القيم التربوية الأخلاقية اللازمة لهم.

ولاخلاف بين دارسى النمو جميعاً أن البيت من بين المنظمات الاجتماعية وأكبرها تأثيراً وأبقاها أثراً فى نمو الطفل لما يمد به الطفل من التراثين البيولوچى والاجتماعى، والأنثربولوچيون ـ المحدثون بخاصة ـ يرونه الوسط الذى يتحقق من خلاله دور الحضارة فى تشكيل الشخصية الإنسانية.

ويلعب الثواب والعقاب (التأديب) كأسلوب تربوى من جانب الوالدين دوراً إيجابياً فى عملية التطبيع الاجتماعى اللازمة للأبناء داخل الأسرة، ومن ثم ينبغى على الوالدين مراعاة أو اتباع أسسه الصحيحة لكى يكون (التأديب) ناجحا ومثمراً، ولا يزال للأسرة ـ رغم التغيرات التى طرأت عليها فى العصر الحديث ـ أهميتها ودورها فى هذا المجال باعتبارها وكالة «تطبيع اجتماعى» للأبناء.

ولا يخفى علينا ـ بالإضافة إلى ذلك ـ ما للاتجاهات الوالدية من أثر كبير فى تحديد وتنمية اتجاهات الأبناء داخل الأسرة، فالاتجاهات على هذا النحو تعنى الكيفية التى بها يدرك الكبار دورهم الوالدى (آباء وأمهات). ومسئولياتهم نحو الصغار، كما عبر عن ذلك سموندز: إن جوهر علاقات الوالد يكمن فيما (يشعر به) الوالد أكثر مما يكمن فيما يفعله، ولعلنا لاحظنا ما تتسم به تلك الاتجاهات من التنوع والتعدد الظاهرين.

إن قدراً من التدريب على فن الوالدين فى تنمية اتجاهات الأبناء على أسس سليمة هو أمر لا غنى للوالدين عنه، فما دام للأبوة والأمومة كل هذه الأهمية فى تنشئة الصغار واتجاهاتهم، فثمة حاجة ضرورية ملحة لتعليم الآباءوالأمهات أسلوب التدريب الإيجابى التربوى على ذلك.

وبالنسبة لدور الأسرة فى بلورة القيم التربوية والنفسية للأولاد داخل الأسرة ذاتها، فقد قلنا إن الإنسان كائن أخلاقى ترتبت عليه مسئولية حمل القيم الأخلاقية التى أوجدها الله على الأرض لتستقيم الحياة وتستمر بشكلها الصحيح.

معنى ذلك أن القيم جزء أصيل من كيان الإنسان.. فالقيم العليا وثيقة الصلة بالجانب الروحى فى الإنسان، ومن ثم فهى أصيلة فى أعماق هذا الكيان، والضبط أو الحجز هو الذى يعين على تنميتها فى نفس هذا الإنسان،

وليس «الكبت» على ما زعم فرويد وأتباعه من أصحاب مذهب التحليل النفسى هو الذى من الممكن أن يحقق ذلك.

وقد أشرنا بعد ذلك إلى مستويات القيم الثلاثة: الإلزامية، التفضيلية، المثالية. ومن ثم تكلمنا عن نمطى النمو الخلقى ومرحلتيه اللتين يمر بهما الطفل من خلال الفرد وهما: نمو السلوك الأخلاقى ونمو المفاهيم الأخلاقية، وأشرنا إلى ما كشفت عنه بعض الدراسات الهامة فى هذا الصدد.

إن التناسق بين أساليب التربية والتهذيب المختلفة مع القدوة فى بيئة الطفل أمر بالغ الأهمية لتنشئة الطفل أو الأبناء وتكامل شخصياتهم، فالتنشئة الاجتماعية المتكاملة للأبناء هى التى تضع الأساس الذى يقوم عليه بناء الذات والشخصية السليمة فى هذا المقام.

مراجع الفصل التاسع

١ ـ عادل البكرى (دكتور)، الفلسفة لكل الناس، إصدار دائرة الشئون الثقافية ـ بغداد ـ العراق. رقم ١٥٥ - ١٩٨٥م. ص ١١٦ - ١١٧، ص ١٢٠.

٢ ـ محمد قطب، المرجع السابق، ص ٢٤٧.

٣ ـ محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون، المرجع السابق، ص ٢٣٥ وما بعدها.

٤ ـ المرجع السابق، نفسه، ص ٢٣٧.

٥ ـ كمال دسوقى، المرجع السابق، ص ٣١٣ - ٣١٤.

٦ ـ المرجع السابق، ص ٣١١.

٧ ـ محمد عماد الدين إسماعيل، السابق، ص ٢٤٧.

الفصل العاشر

التنشئة الاجتماعية المتكاملة للأبناء

تعريف التنشئة الاجتماعية:

تلعب التنشئة الاجتماعية القائمة على أسس تربوية واجتماعية وقيمية سليمة دورها البارز والخطير فى تنمية الاتجاهات والقيم النفسية الصحيحة لدى الأبناء داخل الأسرة كمؤسسة اجتماعية أولى مسئولة عن هؤلاء الأبناء تربويا ونفسيا واجتماعيا فى المقام الأول.

ويمكن تعريف عملية التنشئة الاجتماعية socialization بأنها «عملية تعليم وتعلم وتربية تقوم على التفاعل الاجتماعى وتهدف إلى اكتساب الفرد سلوكا ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة، تمكنه من الاندماج فى جماعته والتوافق الاجتماعى معها، وتكسبه الطابع الاجتماعى وتيسر له الحياة فى وسط الجماعة، وهى عملية تشكيل السلوك الاجتماعى للفرد، وعملية تنمية ثقافة المجتمع فى بناء الشخصية، أو هى بإيجاز وبمعنى أدق : العملية التى بواسطتها يتعلم الفرد طرق مجتمع ما أو جماعة اجتماعية حتى يتمكن من المعيشة فى ذلك المجتمع أو بين تلك الجماعة»[1].

وعلى الرغم من وجاهة هذا التعريف الأول، إلا أنه يعيبه الاستطراد والتطويل وأما التعريف الثانى، فلا يبرز لنا بوضوح الأثر النفسى لطرق «المجتمع أو الجماعة» التى تعكس أثرها المباشر على شخصية الفرد فى عملية التنشئة الاجتماعية ذاتها، ومن ثم فنحن نفضل تعريف هنرى برات فيرتشيلد Fairchild Henry pratt حيث عرف التنشئة الاجتماعية بأنها «عملية نفسية اجتماعية تخلق فيها الشخصية تحت تأثير المنظمات التربوية»، وكذلك فإن لفظة -Social ization فى نفس القاموس تعرف بأنها «تعليم الفرد عن طريق العلاقات الاجتماعية المختلفة وبتأثير النظم الاجتماعية وهيئات الضبط الاجتماعى ومنظمات التربية التى تستهدف كلها أن يتكيف ويتوافق فى معيشته بالمجتمع»[٢]. تلك هى عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى.

ولذا فعملية التنشئة الاجتماعية لها صلة كبيرة فى تكوين السلوك فى شخصية الفرد ومستقبله. وتقوم الأسرة باعتبارها المحضن الاجتماعى الذى تنمو فيه بذور الشخصيات بدور هام فيها.

فالتنشئة الاجتماعية على هذا النحو هى «عملية تحويل الفرد من كائن عضوى حيوانى السلوك إلى شخص آدمى بشرى التصرف فى محيط أفراد آخرين من البشر يتفاعلون بعضهم مع بعض، ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التى تبلور طرائقهم فى الحياة ويقوم بهذه العملية فى بداية حياة الفرد منذ ولادته مجموعة الأسرة»[٣]. ومن الصفات البيولوجية الوراثية الجوهرية التى تتوقف عليها التنشئة الاجتماعية: الذاكرة، النضج، المرونة أو الليونة والميول المزاجية كالسلبية أو الإيجابية.

«إن عملية التطبيع الاجتماعى قرينة لعملية التربية، فالطفل ليس فى استطاعته أن يقابل قواعد بيئته بشىء من عنده، وليس بوسعه أن يغض الطرف

عن هذه القواعد، ويحقق التطبيع «عضوية» الجيل الأصغر فى المجتمع من خلال تلقينه فكر الجماعة وعاداتها ولغتها وتقاليدها»(٥)، والسلبية والإيجابية باعتبارهما من الصفات الجوهرية الوراثية (الفطرية) يؤدى كل منهما مهمة معينة فى حياة الطفل البشرية ومن ثم تنشئته الاجتماعية التى تتبلور فى:

«السلبية ـ بمعنى الطاعة ـ ضرورية فى حياة الطفل ليمتثل لتوجيهات الكبار التى لايمكن بدونها أن تنمو فى نفسه القيم المختلفة، فينشأ وقد غلبت عليه الأنانية والاستجابة السريعة للنزوات ـ الحسية أو المعنوية ـ أى أنه ينشأ على مقربة من عالم الحيوان» !(٥).

وهى ـ بمعنى الطاعة كذلك ـ ضرورية فى حياة الإنسان البالغ ليستطيع الحياة فى المجتمع ذى الأوضاع المنظمة والقواعد الثابتة والأركان الراسخة، وإلا ظل ناشزاً لايطيع نظاما ولا يخضع لقانون؛ فتضطرب الأمور فى المجتمع وينتهى إلى الدمار.

وهى ـ بمعنى حب الخضوع والاستسلام ـ ضرورية كذلك فى حياة الطفل وحياة الإنسان البالغ، لتعطف قلبه للآخرين فيحبهم، ويسلم عواطفه لهم، فتنشأ الروابط التى لاتقوم بدونها الحياة.

أما الإيجابية ـ بمعنى الإرادة والإقدام والفعالية والإبداع والإنشاء والتوجه ـ فتؤدى مهامها فى حياة الإنسان بما يشبه مهام «التحرر» ـ «بمعنى الانطلاق الإيجابى فى مسيرة الحياة والمجتمع، وأولى المهام إذن هى موازنة السلبية فلا تصل إلى الضعف المعيب وانعدام الشخصية (أى منعها من الانحراف). وثانية المهام مقاومة الشر فى النفس والمجتمع»(٦). فلو كان الإنسان سلبياً لكل شىء لتفشت الأمراض والشرور دون أن يقاومها أو يغير مافيها من منكر ولخضعت النفوس للفساد وللظلم وينتهى الأمر بالبوار والدمار، وثالثة المهام إبداع النظم

الجديدة التى تدفع البشرية إلى الأمام، دون خوف من الخروج على (مألوف) الناس حين يفسد هذا المألوف، ويصبح مصدراً للفساد، وكلها أمور حيوية بالنسبة للفرد والمجتمع والحياة على السواء، وفيها تتجلى لنا هاتان النزعتان المتأصلتان وكيف تلعبان دورهما فى نفس الفرد البشرى، ودورهما فى تطبيعه وتنشئته الاجتماعية. وليس أدل على ذلك من قول ر.م. ماكيفر R,M.Mackiver «إن عملية التطبيع الاجتماعى هى العملية التى يستطيع بها الكائن الإنسانى أن يعمق جذوره ويزيد امتداده فى المجتمع، وأن يجد انجازاً لحياته عن طريق زيادة وتنمية علاقاته بالآخرين»(٧).

الدور الإيجابى للأسرة فى التنشئة الاجتماعية للأبناء:

- ومن حيث الدور الإيجابى للأسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة للأبناء ـ على أسس سليمة ـ تجدر الإشارة إلى أن الأسرة أكثر وسائط التنشئة أهمية، ولايستطيع أى باحث أن يغفل دور الأسرة فى هذا المجال بالذات لما له من أثر كبير فى تكوين شخصية الفرد وتعيين أنماط سلوكه، «تستمد الأسرة أهميتها وخطورتها من أنها البيئة الأولى بل الوحيدة التى تستقبل الإنسان منذ ولادته وتستمر معه مدة طويلة من حياته وتشكل قدراته المختلفة واستعداداته المتباينة، وأيضا تعاصر انتقاله من مرحلة إلى أخرى، بل لايكاد يوجد نظام اجتماعى آخر يحدد مصير الجنس البشرى كله كما تحدده الأسرة»(٨).

وإذا كان من الحقائق الثابتة الآن فى علم النفس أن الصحة النفسية للفرد تعتمد على مدى إشباع حاجاته الأساسية، وأن كثيراً من مظاهر التكيف التى تظهر فى سلوك الأفراد وتحقق نجاحهم أو فشلهم، يمكن إرجاعها إلى إشباع تلك الحاجات الأساسية أوعدم إشباعها، وإلى أساليب المعاملة التى تلقاها فى مرحلة حياتة الأولى، «فإنه عن طريق العائلة يشبع الطفل جميع حاجاته

الاجتماعية النفسية، إلى الأمن والحماية والرعاية والحب والعطف والقبول، وإلى أن يكون له منزلة اجتماعية معينة، وبعبارة أخرى فإن وجود طفل فى عائلة معينة هو السبيل كالحاجة إلى تكوين شعوره الأول بالانتماء إلى جماعة أولية أخرى»[٩] فالطفل يتلقى فى مرحلة الطفولة على أيدى الكبار ـ وبالأخص الأم ـ أساليب التعامل الأولى ومبادئ العلاقات فى الحياة، بحيث يمكنه التكيف مع أسرته وتبدأ إيجابيات وسلبيات شخصيته فى التكون: الحب، الضمير، والكراهية، العصيان، ويتكون لديه معنى «السلطة» فى أسرته من خلال استجابة إخواته لأوامر الكبار، وتوصل الأسرة للطفل الثقافة الموجودة فى المجتمع الكبير وأوجهها، والأسرة التى يولد فيها الطفل هى الجماعة المرجعية الأولى، فهو يشير إلى قيمها ومعاييرها وطرق عملها عند تقييمه لسلوكه، والفرد بتعلمه الأنماط السلوكية التى تسود جماعته يغدو فرداً مقبولاً لديها يشعر بانتماء إليها وبالطمأنينة والاستقرار.

وعملية التنشئة الاجتماعية من خلال الدور الإيجابى للأسرة هى الأداة التى يستخدمها المجتمع فى تحديد المنافذ المقبولة لتلك الحاجات والقدرات الفطرية التى أشرنا إلى إشباعها لدى الطفل («فالمجتمع يوافق على أن يقر ضروباً معينة من السلوك كالتعاون، والإيثار، ويحرم ضروباً أخرى مثل العدوان والتخريب والأنانية، ومجموع هذه الأنواع من السلوك التى يقرها المجتمع هى مايسمى عادة أسلوب الحياة أو المعايير الاجتماعية، ومعنى ذلك أن التنشئة الاجتماعية لاتسير بطريقة عشوائية [١٠] وإنما تسير دائماً على هدى معايير معينة للمرغوب فيه والمرغوب عنه. «فهى عملية تقترن أولا بالنظام الذى ترتبط فيه عملية التشريط العامة بفاعلية المدرسة والأسرة، وجماعة اللعب، والجماعات العنصرية، والطائفية، ودور العبادة ـ كالمسجد ـ والصور المتحركة وما شابهها، وثانياً تقترن

ببعض مشكلات سوسيولوچية الجماعات التى تنظمها العملية التربوية، والجماعات المشتغلة بالتربية من معلمين وآباء ونظار ومفتشين ومخططين تربويين وهيئات إدارية ووعاظ)... إلخ» [١١] .

ومن أهم مايتعلمه الطفل فى الأسرة خلال عملية التنشئة الاجتماعية الأمور الأتية:

١ ـ المشى والفطام، وضبط المثانة والأمعاء، والاستحياء الجنسى وكف العدوان على الإخوان والكبار، وذلك فى معظم المجتمعات الإنسانية.

٢ ـ التعود على كف بعض الدوافع غير المرغوبة، أو الحد منها، ومما يجدر ذكره أن أكبر شطر من عملية التنشئة الاجتماعية يتلخص فى إقامة حواجز وعقبات ضد الإشباع المباشر للدوافع الجنسية والدوافع العدوانية، وهى حواجز لازمة لبقاء كل مجتمع، لهذا فهى توجد على نحو ما حتى فى أكثر الشعوب بدائية.

٣ ـ الالتزام بالعادات وطرق التصرف الملائمة والأهداف الاجتماعية، هذا فضلا عن اتجاهات معينة نحو الآخرين ونحو المبادئ والسلطة ونحو الدين والأسرة، بالإضافة إلى تعليم الذكور والإناث الأدوار المعينة التى يرسمها المجتمع لكل منهما.

٤ ـ الانضباط والتعود على التوقيت المنظم، أى القيام بأعمال معينة فى أوقات معينة.

٥ ـ «القيام بأدوار معينة محددة أولها وأهمها ذلك الدور الذى يحدده جنسه، أى ماإذا كان ذكراً أو أنثى، وهكذا نرى أن الضبط الاجتماعى هو لب عملية التطبيع الاجتماعى، والمضمون المركز للتنشئة الاجتماعية، وإنه الظاهرة التى

يتميز بها الإنسان عن الحيوان، حتى أنه لايكون بعيداً عن الصواب القول بأن الإنسان حيوان عاقل مميز مدرك ومضبوط اجتماعيا فى أقواله وأفعاله، أى فى سلوكه الفردى والجمعى»[١٢].

أثر الوالدين فى تنشئة الأبناء تربويا ونفسيا:

مع إجماع العلماء على أهمية الأسرة وأثرها العميق فى تنشئة الأبناء تربويا ونفسيا واجتماعيا على أسس سليمة، نراهم يحرصون على إبراز دور الأم وأثرها كصاحبة الدور الرئيسى فى عملية تنشئة الأبناء المبكرة، ويؤكدون على ذلك أشد التأكيد بالنسبة للطفل، وبخاصة فى السنوات الأولى من حياته، ومن ذلك ـ على سبيل المثال ـ أن الرضاعة الطبيعية تساعد على تكوين علاقة وثيقة بين الطفل وأمه، حيث يسهل من خلالها تعليمه أنماط السلوك المختلفة وإكسابه مايراد له اكتسابه من الضوابط والآداب والأخلاق، فحين تقوم الأم بإرضاع طفلها تمنحه نوعا من الإثابة والطعام وضمه إلى حضنها، وبحسب مبادئ التعلم وعلى أساسها يمكن التنبؤ بأن الطفل يستطيع تعلم عدد من الاستجابات الجديدة فى موقف الإرضاع من ثدى أمه، «وقوانين التعلم تنص على أن المثير أو المنبه الجديد الذى يقترن اقترانا زمنيا بإثابة ما (كالرضاع من ثدى الأم) يصبح هو نفسه ذا قيمة إثابية، ولهذا فالأم بوصفها مثيرا أو منبها يتحول معناها عن طريق التعلم فتصبح دليلاً على الإشباع والرضا، أى أنها تصبح ذات قيمة موجبة ومن هنا يصبح تأثيرها فى تعليم الطفل فعالا»[١٣]. فالأم ـ على هذا النحو ـ هى نقطة انطلاق الطفل وحجر الزاوية فى تطور نموه، وهى بالنسبة له المعين الأول لكل ما قد يحس به من حاجة والكفيل الأول لكل رغباته، على أن دور الأم لايقتصر فقط على مجرد تقديمها الغذاء والكساء والوقاية للطفل فقط، ولكنها مطالبة ـ إلى جانب ذلك ـ بتقديم العطف والمحبة والحنان، ذلك

أن إهمال الطفل وحرمانه من العطف والحنان والمحبة غالبا مايهدد كيانه بالخطر، لأن الحرمان العاطفى الذى يسميه «چون بولى» الحرمان من الأمومة، كالجوع، لايمكن للطفل أن يتغلب عليه أو يتحمله دون أن يناله من ذلك ضرر، ومن ثم فإن أهم شيء بالنسبة لصحة الطفل فى المستقبل، كما يقول «وول» هو تنمية إحساسه بالأمن وتعزيز ذلك الإحساس وشعوره بأنه محبوب من أمه، مقبول منها فى كل حين.

ولقد رأى المربون القدامى أن ممايساعد على تكوين هذه العلاقة الحميمة بين الأم وطفلها تحريك الأم لمهد الطفل وما اعتادته الأمهات من الغناء لأبنائهن ومداعبتهن وإدراك هؤلاء قيمة ذلك فى نمو الطفل النفسى والانفعالى وفى إشباع حاجاته إلى التقبل والحب، وفى ذلك يقول ابن سينا (يجب أن يلزم الطفل شيئين نافعين لتقوية مزاجه أحدهما: التحريك اللطيف (أى المداعبة والملاعبة) والآخر الموسيقى والتلحين الذى جرت به العادة، ويبين ابن الجزار أثر ذلك فى طبيعة الأطفال بقوله:

«إن الأصوات اللذيذة تلحق النفس والطبيعة الالتذاذ بها من غير تعب، ومن أجل ذلك صار الأطفال إن نغم لهم (أى إذا سمعوا لحناً جميلاً من الألحان) سكنت طبائعهم.»(١٤) هذا إلى جانب إشباع الأم لحاجة وليدها إلى النوم باعتباره من الحاجات الأساسية اللازمة لنمو الطفل، فيجب عليها أن تعنى بمضجعه فتضجعه فى فراشه فى المهد مستويا معتدلاً ولا يكون (المهد) ـ السرير أو الفراش ـ ليناً جداً لئلا ينقلب هو أويلتوى عنقه ويجعل رأسه إذا نام يكون أعلى من جميع بدنه، أما محل النوم فينبغى أن يكون معتدل الهواء (مكيف) بلغة العصر، ليس ببارد ولاحار، ويجب أن يكون البيت غير مائل أو معزول لايسطع فيه شعاع غالب النهار.. إلخ ذلك من الأمور.

وعلى الرغم من أهمية دور الأم فى عملية التنشئة الاجتماعية على النحو الذى يبناه فإن للأب دورا يقوم به فى تطبيع الطفل وتنشئته على أسس سليمة وصحيحة، وليست مهمة الأب - فى هذا الصدد - توفير المال الكافى والمسكن المناسب، وأسباب المعيشة الضرورية فحسب، «بل عليه أيضاً أن يتيح لها السبل المختلفة لتأدية ذلك بدون عوائق أو حوائل، فيشعرها بأنه متفهم لمهمتها، مقدر لمجهودها وتعبها، كما يحيطها بجو من التعاون والتعاطف وبكل مايوفر لها الأمن النفسى، فإن كل هذا سوف ينعكس على الطفل ويؤثر فيه، بل إن الطفل ليشتق أمنه من أمن أمه نفسها» (١٨).

التصدع الأسرى وأثره على تنشئة الطفل اجتماعياً

لايبالغ المرء إذا قال إن أغلب الدراسات التى تناولت ظاهرة جنوح الأحداث وانزلاقهم إلى دركات الجريمة كانت تدور حول دور الأسرة وعلاقة الوالدين بالطفل. وأثر ذلك فى جنوح الأحداث واضح، وتكاد الدراسات تجمع على أن الأسرة المتصدعة ذات أثر خطير فى حدوث هذه الظاهرة، وأن الأسر المتصدعة من أهم عوامل إنتاج الأحداث الجانحين، سواء كان تصدع الأسرة يعنى التصدع المادى أو الاجتماعى، وهى التى يكون فيها الوالدان أو أحدهما مفقودا أو متوفيا أو مهاجراً، أو كان التصدع تصدعا نفسيا، وهو أن يعيش الوالدان معاً ومع أطفالهما، ولكن يسود الأسرة منازعات مستمرة ويشيع فيها عدم احترام حقوق الآخرين ويعيش الطفل فيها تحت ضغط مستمر. «إن هذه الأسرة المتصدعة تحرم الطفل من ضروريات حياته وتجعله يفتقر إلى الإشراف العائلى الدقيق والمستمر وتجعله يحس بالجوع الدائم إلى الأمن والحب والتقبل، ممايفتح له الباب على مصراعيه إلى أن يسلك كل ماهو شاذ ومضاد للجماعة نتيجة إحساسه بالإهمال والحرمان» (١٦). وإذا كانت وظيفة الأسرة هى إعداد الطفل للعيش فى العالم الكبير، وإذا مانظرنا إليها من وجهة النظر هذه، فإن الآباء هم

الكفلاء والأوصياء على الطفل، وهم مسئولون عن إعداده لحياة الكبار الراشدين، «وذلك بتدريبه وتعليمه حب الآخرين والتعاون معهم، وعدم الأنانية واحترام حقوق الآخرين وكيفية التعامل مع أفراد المجتمع، كما يساعده على تكوين بعض الاتجاهات الصحيحة، ومن ذلك اتجاهاته نحو والديه ونحو الأب بصفة خاصة بوصفه رمزاً للسلطة فى الأسرة، فلذلك أثره فى اتجاه الفرد نحو القانون والسلطة بصفة عامة»(١٧). ويجب أن يقوم الأب فى كل مناسبة بتنبيه ولده إلى مايجب عمله ومايجب اجتنابه وتركه، فالأوامر والنواهى دعامة أساسية فى التجارب التعليمية لكل طفل فى هذا المقام، ولابد أن يكون للأب صورة طيبة صادقة وقدوة حسنة بما يأمر به ولده من آداب وما يدعوه إليه من قواعد أخلاقية وتربوية ذات مغزى صالح. ذلك لأن الأبناء ميالون ـ بطبعهم ـ إلى تقليد والديهم وتمثل سلوكهم ومواقفهم الحياتية، لأن الناس لديهم حاجة نفسية إلى أن يشبهوا الأشخاص الذين يحبونهم ويقدرونهم، وأن هذه الحاجة تنشأ فى بادئ الأمر من خلال تقليد الأطفال لوالديهم، والأطفال دائما يحاولون أن يكونوا كالأشخاص الذين يحبونهم ويعجبون بهم، فمن الأشياء المألوفة لدينا أن نرى طفلا يتخذ مظهر أبيه وطفلة تقلد صوت أمها حين تؤنب أخاها الصغير، والأطفال لايقلدون السلوك الخارجى لوالديهم أو يتخذون من آبائهم المجيدين مثلا عليا فحسب، بل يمتصون سماتهم ومستويات سلوكهم أيضا، «وفى السنوات الأربع أو الخمس بعد السنة الأولى يلعب الأب والأفراد الآخرون معه فى الأسرة أدواراً مهمة فى حياة الطفل وتنشئته الاجتماعية. «وذلك لأنهم يؤلفون مع الأم الميدان الاجتماعى الأول الذى يحتويه الذى يكون أساس خبراته الاجتماعية وتجاربه وطرق سلوكه، كما يتمثل أيضا العادات والتقاليد السائدة»(١٨). وهنا تصبح الأسرة بحق وبكامل أعضائها، المدخل الرئيسى الذى يدخل منه الطفل رحاب الحياة الاجتماعية بكل أبعادها وأطرافها المترامية.

الخلاصة

نخلص مما سبق إلى أن عملية التنشئة الاجتماعية المتكاملة للأبناء التى تضطلع بها الأسرة هى عملية تكييف الطفل لبيئته الاجتماعية وتشكيله على صورة مجتمعه، وصياغته فى القالب والشكل الذى يرضيه، فهى عملية تربية وتعليم تضطلع بها الأسرة والمربين، بغية تعليم الطفل الامتثال لمطالب المجتمع والاندماج فى ثقافته، والخضوع لالتزاماته ومجاراة الآخرين بوجه عام.

وعملية التنشئة الاجتماعية تقوم على «ضبط سلوك الفرد وكفه عن الأعمال التى لايقبلها المجتمع وتشجيعه على مايرضاه منها حتى يكون متوافقا مع الثقافة التى يعيش فيها، فالضبط الاجتماعى لازم لحفظ الحياة الاجتماعية وضرورى لبقاء الإنسان، وطبيعة الإنسان لاتكون بشرية صالحة للحياة الاجتماعية إلا بخضوعها لقيود النظم المختلفة التى تهذب النفس وتسمو بها» (١٩). وبذلك يعيش الإنسان فى سلام مع غيره من الناس ويكتسب حبهم واحترامهم، والطفل يولد مزوداً بقدرة على التعلم، ولكنه لايولد مزودا بأنماط السلوك. فهذه يتعلمها من الحياة الاجتماعية (من خلال الأسرة) ، فالتعلم يشكل شخصيته بطريقة تجعله صالحا لحياة منظمة وفق أنماط معينة ترتضيها المجموعات الصغيرة والجماعات الكبيرة ويرضى عنها المجتمع بوجه عام، ولكى تستطيع الأسرة تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية على أسس سليمة وإشباع حاجاته فى إطار من الأمن يحاول الوالدان أن يراعيا بأن تقوم تربيته وتعليمه على الفهم والوعى بحاجاته وتقدير مطالب نموه ونضج قدرته، ومعنى ذلك أن تكون مطالب الوالدين من الطفل موافقة توفيقاً يتناسب مع درجة نموه بحيث يكون فى وسعه القيام بها وتحقيقها وإنجازها على الوجه الصحيح. «كما ينبغى أن يراعيا فى

عملية تعليمه السلوك الاجتماعي أنها عملية بطيئة وأن الطفل معرض لأن ينجح مرة ويخطئ مرة أوعدة مرات.. والعامل الجوهرى الفعال فى تنشئة الطفل - أو الأبناء عموما - هو موقف والديهم منهم واتجاهاتهم نحوهم عندما يكافئان نجاحهم بالاستحسان والاحترام والتقدير، ويغدقان عليهم بالمحبة والحنان»[٢٠] ..إلخ. وبعبارة أخرى فإن الأسرة هى التى تزود الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعي، وبذلك تزوده بالضوء الذى يرشده فى تصرفاته وسائر ظروف حياته)، ففى الأسرة يتلقى الطفل أول درس فى الصواب والخطأ والحسن والقبيح، ومايجوز ومالا يجوز، ومايجب أن يفعله، وما يجب عليه أن يتجنبه والسبب فى تجنبه، وكيفية كسب رضا الجماعة، وكيفية تجنب سخطها وغضبها عليه، فالأسرة هى التى تمنح الطفل أوضاعه الاجتماعية، وتحدد له - منذ البداية - اتجاهات سلوكه واختياراته. وغنى عن الذكر ما لهذا الرصيد الزاخر بأساليب السلوك والعادات والقيم الاجتماعية من أثر فى حياة الطفل - أو الأبناء - عموماً، فكل فرد يسير فى حياته من مرحلة إلى مرحلة، وينتقل من دور إلى دور ومن مركز إلى آخر حاملا معه رصيده الأول من العادات والقيم وأساليب السلوك الاجتماعية ليهتدى به فى مقابلة المواقف الجديدة التى تواجهه فى سياق تفاعله مع مجتمعه الذى يعيش فيه.

وكل هذا يبين لنا إلى أى حد، وعلى أى أساس ينبغى أن تكون التنشئة الاجتماعية المتكاملة للأبناء من خلال الدور الطليعى الذى تضطلع به الأسرة ممثلة فى الوالدين أو المربين الآخرين.

مراجع الفصل العاشر

١ ـ حسن إبراهيم عبد العال (دكتور) أثر التربية الإسلامية في الحد من الجريمة، والمراجع المشار إليها فيه، بحث منشور بمجلة (رسالة الخليج العربي) مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية، العدد الرابع عشر ـ السنة الخامسة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص٦٤.

٢ ـ كمال دسوقي (دكتور) النمو التربوى للطفل والمراهق، دار النهضة، مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

٣ ـ راجع للمزيد والتفصيل في التطبيع الاجتماعي وأثره في تنشئةالأبناء، الفصل السابع من هذا الكتاب.

٤ ـ فوزية دياب (دكتورة) نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة المصرية، مرجع سبق ذكره، ص١١٠ ـ١١، ١١٣.

٥ ـ نبيه محمد حموده (دكتور) التأصيل الاجتماعي للتربية، المرجع السابق، ص٨٠

٦ ـ محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية دار الشروق، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٧ ـ ١٢٨.

٧ ـ نبيه محمد حموده (دكتور) التأصيل الاجتماعي للتربية، المرجع السابق، ص٤٨المشار إليها فيه، ص٦٦.

٨ ـ فوزية دياب (دكتورة) نمو الطفل وتنشئته، المرجع السابق، ص ١٢٢.

٩ ـ فوزية دياب، السابق، ص١١٥ ـ ١١٦، ١٢٤، ١٢٥.

١٠ ـ حسن إبراهيم عبد العال (دكتور)، البحث السابق، ص ٦٩, ٧٠.

١١ ـ فوزية دياب، المرجع السابق، ١٢٩.

١٢ ـ حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص٦٦.

١٣ ـ حسن إبراهيم، نفسه، ص ٧٢ ـ ٧٣.

١٤ ـ فوزية دياب، المرجع السابق، ص١٣٠ ـ ١٣١.

١٥ ـ فوزية دياب، ص ١١٤ ـ ١١٥.

١٦ ـ المرجع السابق، ص١١٩ ـ ١٢٣.

١٧ ـ نفس المرجع، نفس الصفحة.

١٨ ـ د. كمال دسوقي، النمو التربوى للطفل والمراهق (مرجع سابق)، ص ٢٦٩.

١٩ ــ د. فوزية دياب المرجع السابق، ص ١١٣.

٢٠ ــ د. كمال دسوقى المرجع السابق، ص ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٣.

المراجع

حسب الترتيب الأبجدى للكتب

١ـ الحكم الخلقى عند الأطفال، تأليف جان بياچيه، ترجمة محمد خيرى حربى، مكتبة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٦.

٢ـ المدخل إلى علم النفس الجماعى، تأليف شارل بلوندل، تعريب الدكتور حكمت هاشم، دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٢.

٣ ـ الطفولة صانعة المستقبل، تأليف محمد عطية الأبراشى، الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٦٣.

٤ ـ البناء الاجتماعى ـ مدخل لدراسة المجتمع «الجزء الأول ـ المفهومات» للدكتور أحمد أبوزيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (الاسكندرية)، الطبعة الثالثة ١٩٧٠.

٥ ـ الإحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية للدكتور السيد محمد خيرى، دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٠.

٦ ـ انحراف الأحداث الجناح، تأليف كمال جندى أبو السعود، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧١.

٧ ـ أسس علم الاجتماع للدكتور حسن شحاتة سعفان ـ دار النهضة ـ القاهرة ـ الطبعة الثامنة ١٩٧١/ ١٩٧٢.

٨ ـ الأنثربولوچيا الاجتماعية، تأليف سيد ادوارد، ايفانز ريتشارد، ترجمة الدكتور أحمد أبوزيد، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (الاسكندرية) ١٩٧٢.

٩ـ التنشئة الاجتماعية للطفل فى الأسرة العربية (كيف نربى أطفالنا) للدكتور محمد عماد الدين إسماعيل وآخرين دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية، ١٩٧٤ .

١٠ ـ الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة والطفولة للدكتور إبراهيم بيومى مرعى ود. ملاك أحمد الرشيدى، المكتب الجامعى الحديث ـ الاسكندرية ـ بدون تاريخ نشر.

١١ـ استطلاع أساليب الأمهات فى تنشئة أطفالهن الذكور، إعداد الدكتورين أحمد عبد العزيز سلامة ومحمد سامى هنا، الدار العصرية للنشر ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

١٢ ـ أثر تعليم الأمهات فى تنشئة صغارهن، للدكتور محمد سامى هنا، دار الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٧٤ .

١٣ ـ التربية الحديثة. الجزء الثالث، تأليف صالح عبد العزيز، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٥ .

١٤ ـ أصول علمى الإجرام والعقاب، للدكتور رءوف عبيد، دار الفكر العربى القاهرة ـ الطبعة الرابعة، ١٩٧٧ .

١٥ ـ أسس علم الاجتماع، للدكتور إسماعيل حسن عبد البارى، مطبعة الكيلانى، القاهرة، الطبعة الاولى، ١٩٧٧ .

١٦ـ الوجيز لأحكام الأسرة فى الإسلام، للدكتور محمد سلام مدكور، دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ .

١٧ ـ الدليل إلى الإحصاء فى التربية وعلم النفس، تأليف ج. ملتون سميث، ترجمة الدكتور إبراهيم بسيونى عميرة، دار المعارف ـ القاهرة

الطبعة الأولى. ١٩٧٨

١٨ ـ البحث فى التربية للدكتور عبد الغنى عبود، دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٧٩.

١٩ ـ النمو التربوى للطفل والمراهق، للدكتور كمال دسوقى، دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٩٧٩.

٢٠ ـ الأسرة والطفولة، للدكتور زيدان عبدالباقى، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٠.

٢١ ـ التأصيل الاجتماعى للتربية، للدكتور نبيه محمد حموده، الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٠.

٢٢ ـ التأصيل الفلسفى للتربية للدكتور نبيه محمد حموده، الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٠.

٢٣ ـ المرأة بين البيت والمجتمع ـ للدكتور محمد سلامة آدم، دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى، ١٩٨٢.

٢٤ ـ البحث التربوى ـ أصوله ومناهجه ـ للدكتورين محمد لبيب النجيحى ومحمد منير مرسى، عالم الكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٨٣.

٢٥ ـ البحوث النفسية والتربوية، للدكتورين إبراهيم وجيه محمود ومحمود عبدالحليم منسى، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٣.

٢٦ ـ الطفل ـ تنشئته وحاجاته ـ للدكتورة هدى محمد قناوى، الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٨٣.

٢٧ ـ أولادنا فى ضوء التربية الإسلامية، محمد على قطب، مكتبة القرآن ـ القاهرة ـ ١٩٨٣.

٢٨ ـ الزواج عند العرب فى الجاهلية والإسلام (دراسة مقارنة) للدكتور عبدالسلام الترمانينى، عالم المعرفة ـ الكويت ـ الكتاب رقم (٨٠)، ١٩٨٤.

٢٩ ـ التليفزيون بين الهدم والبناء، تأليف محمد كامل عبدالصمد، دار الدعوة الإسكندرية ـ الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

٣٠ ـ الشباب العربى ومشكلاته للدكتور عزت حجازى، عالم المعرفة ـ الكويت ـ الطبعة الثانية ـ الكتاب رقم (٦) ١٩٨٥.

٣١ ـ الإنسان وعلم النفس، للدكتور عبدالستار إبراهيم، عالم المعرفة، الكويت ـ الكتاب رقم (٨٦)، ١٩٨٥.

٣٢ ـ التغيير الاجتماعى ـ دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، للدكتور سيف الإسلام على مطر، دار الوفاء بالمنصورة، القاهرة ـ الطبعة الأولى ١٩٨٦.

٣٣ ـ تساؤلات ومقالات تربوية ونفسية، للدكتور يوسف مصطفى القاضى، شركة عكاظ للنشر والتوزيع ـ السعودية ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٨١.

٣٤ ـ تصميم البحوث الاجتماعية، للدكتور إسماعيل حسن عبدالبارى، مطبعة الكيلانى ـ القاهرة ـ ١٩٨٣.

٣٥ ـ حياة الطفل، للدكتور مصطفى الديوانى، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة الطبعة الحادية عشرة، ١٩٨٥.

٣٦ ـ دراسات فى علم الاجتماع، للدكتور نبيل السمالوطى، مطبعة الجبلاوى ـ القاهرة ١٩٧٧ .

٣٧ ـ دراسات فى النفس الإنسانية، تأليف محمد قطب، دار الشروق ـ بيروت ـ ١٩٧٩ .

٣٨ ـ طبائع البشر ـ دراسات نفسية واجتماعية ـ للدكتور فاخر عاقل ـ كتاب العربى ـ (الكتاب السادس) يناير ١٩٨٥ .

٣٩ ـ علم النفس العقابى ـ أصوله وتطبيقاته، للدكتور كمال دسوقى ـ دار المعارف القاهرة ـ ١٩٦١ .

٤٠ ـ علم النفس الاجتماعى (جزءان) للدكتور سيد أحمد عثمان الأنجلو المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ .

٤١ ـ علم النفس التربوى والتوافق الاجتماعى، تأليف عبدالمجيد عبدالرحيم ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨١ .

٤٢ ـ فى التربية الإسلامية ـ بحوث ودراسات ـ للدكتور محمد على المرصفى، مكتبة وهبه ـ القاهرة، الطبعة الأولى ـ ١٩٨٧ .

٤٣ ـ مدخل لدراسة السلوك الإنسانى ـ مبادئ وتجارب ـ للدكتور جابر عبدالحميد جابر، دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٢ .

٤٤ ـ مبادئ علم النفس العام، للدكتور يوسف مراد، دار المعارف ـ القاهرة ـ الطبعة السابعة ـ ١٩٧٨ .

٤٥ ـ مسيرة الفكر التربوى عبر التاريخ، للدكتور محمود السيد سلطان، دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ .

٤٦ ـ مناهج البحث فى العلوم الاجتماعية، للدكتور صلاح مصطفى الفوال، مكتبة غريب ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ .

٤٧ ـ مبادئ علم الأجرام وعلم العقاب، للدكتورة سلوى توفيق بكير، مطبعة الأمانة ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ .

٤٨ ـ مفاهيم أساسية لتربية الأطفال، للدكتور عبداللطيف حسين فرج، دار المريخ ـ الرياض ـ ١٩٨٣ .

٤٩ ـ محاضرات فى علم النفس الإكلينيكى، للدكتورين ممدوحة سلامة وعبدالله عسكر، كلية الآداب ـ الزقازيق ـ ١٩٨٨ .

٥٠ ـ نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، للدكتورة فوزية دياب مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٨٠ .

٥١ ـ هذه الشجرة، تأليف عباس محمود العقاد، مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ـ بدون تاريخ نشر.

المجلات والدوريات والصحف:

١ ـ الوعى الإسلامى، الكويتية، العدد (١٠٠) ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ .

٢ ـ المسلم المعاصر، بيروت/ لبنان، العدد (٣٦) ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ .

٣ ـ المستقبل، العربى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت/ لبنان العدد (٣٦) ١٩٨٢ .

٤ ـ الأزهر، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، السنة ٥٦ الجزء١٢ ذى الحجة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ .

٥ ـ الأهرام الاقتصادى، العدد (٨٤١) ١٩٨٥ .

٦ ـ المسلمون الدولية (جريدة) أسبوعية، العدد ١٣ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥.

٧ ـ رسالة الخليج العربى ـ تربوية ـ مكتب التربية لدول الخليج العربى ـ الرياض ـ العدد (١٤) السنة الخامسة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥.

٨ ـ منار الإسلام، أبوظبى، العدد (٨) السنة العاشرة، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥.

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الموضـــوع	رقم الصفحة

تعريف بالمؤلف

السيد أحمد المخزنجي

ـ صحفي وناقد أدبي بالقسم الثقافي بجريدة (المساء) القاهرية ـ بجمهورية مصر العربية.

ـ من مواليد شهر مارس ١٩٥٧م بمحافظة الشرقية ـ مصر.

ـ حصل على ليسانس في القانون من جامعة الزقازيق عام ١٩٨٣م.

حاز العديد من الجوائز الثقافية والأدبية (الأولى) على مستوى الجمهورية من قبل الهيئات الرسمية المعنية خلال الفترة من ١٩٨١ إلى ١٩٨٨ من بينها:

* جائزة لجنة الدراسات الأدبية واللغوية للمجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٨٤.

* جائزة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ القاهرة ١٩٨٥.

* جائزة (علم النفس والتربية) للمجلس الأعلى للثقافة ـ القاهرة ١٩٨٦م.

* جائزة (ثقافة الطفل) الهيئة العامة لقصور الثقافة ـ القاهرة ـ ١٩٨٨.

* جائزة خدمة الدعوة والفقه الإسلامي (وقف د. الفنجري) ـ ١٩٩٥م.

ـ عضو نقابة المحامين.

ـ عضو اتحاد الكتاب.

ـ عضو نقابة الصحفيين.

ـ نشر له العديد من الأبحاث والدراسات في المجلات والدوريات العربية المتخصصة.

مؤلفاته:

ـ العدل والتسامح الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، (دعوة الحق) ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧.

ـ نظرة تحليلية في كتابات د. محمد حسين هيكل ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٧م.

- الأثر السيكولوجى والتربوى لعمل المرأة على شخصية الطفل العربى - التربية العربى لدول الخليج - الرياض ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.
- فى ظلال سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) رابطة العالم الإسلامى - المكرمة (دعوة الحق) ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.
- تنمية القيم التربوية والنفسية للأبناء - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٣م.
- شخصية الطفل وثقافته - الهيئة العامة لقصور الثقافة - ١٩٩٣ م، مكتبة الشباب.

- دور الزكاة فى تنمية المجتمع (دعوة الحق) رابطة العالم الإسلامى - مكة المكرمة - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.
- السرقات الأدبية: دراسة نظرية تطبيقية - موسوعة السرقات الأدبية - دار المجد للنشر والتوزيع - الرياض - تحت الطبع.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٤٨٨٨ / ٩٩

I.S.B.N 977-01-6497-6

طبقًا لما بينته البحوث النفسية والدراسات التربوية أن الصحة النفسية للأطفال، وحسن العلاقة بينهم وبين والديهم تتوقف - إلى حد كبير - على مدى نجاح الوالدين أنفسهم - أو المربين عمومًا - فى رعاية شئون أبنائهم، والعناية بتربيتهم على أسسٍ سليمة.

ومما لا ريب فيه أن من العوامل التى تساعد الإنسان على بلوغ مقامه الأسمى فى الحياة: العناية والمحبة المطردتين فى زمن الطفولة. وبالمثل إذا تعرض الطفل فى فترات حياته الأولى لنوع من القسوة والتشدد فى معاملة الوالدين له.. فإن ذلك من شأنه أن يؤدى بالأبناء الصغار إلى تكوين شخصية عدوانية، حاقدة، منطوية على نفسها، ناقمة على الأسرة والمجتمع ككل!.

والكتاب - فى مجمله - دراسة جادة وجديدة تستهدف بيان الدور التأصيلى التربوى النفسى والاجتماعى، الذى تضطلع به الأسرة، إلى جانب وسائط أو «وكالات التطبيع الاجتماعى» الأخرى التى تلعب دورًا مشاركًا وإيجابيًا - فيما ينبغى - بالنسبة للأبناء وتنشئتهم وفق أسسِ وأيديولوجية المجتمع ونُظمه.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٥٠٠ قــــرش